جامعة الشهيد حمّه لخضر – الوادي

معهد العلوم الإسلامية

قسم أصول الدين

المقاصد القرآنية في سورة

–ص–

مذكرة تخرّج تدخل ضمن متطلبات الحصول على شهادة الماستر

في العلوم الإسلامية –تخصص: علوم القرآن والتفسير

الطالبة:

شيماء غانية

لجنة المناقشة

الاسم واللقب	الرتبة	الجامعة	الصفة
حمزة بوخزنة	دكتور	جامعة حمّه لخضر –الوادي	رئيساً
عبد الكريم بوغزالة	أستاذ دكتور	جامعة حمّه لخضر –الوادي	مشرفاً ومقرراً
محمد الصالح غريسي	أستاذ	جامعة حمّه لخضر –الوادي	مناقشاً

السنة الجامعية: 1438–1439 هـ/ 2017–2018 م

قال رسول الله ﷺ : {إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّةِ، وَإِنَّمَا لِامْرِئٍ مَا نَوَى، فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ، فَهِجْرَتُهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى دُنْيَا يُصِيبُهَا أَوِ امْرَأَةٍ يَتَزَوَّجُهَا، فَهِجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ}

صحيح البخاري، رح: 6689

الإهداء

إلى الله ﷻ شكرًا وتحميدًا وتسبيحًا وتكبيرًا .

إلى الرّسول ﷺ محبّةً وإتّباعًا وتفضيلًا .

وإلى الوالدين الكريمين طاعةً وبرًّا وتقبيلًا .

إلى الأساتذة الكرام تقديرًا واحترامًا وتبجيلًا .

إلى الإخوة والأخوات عطفًا وحنانًا .

إلى الأعمام والعمّات والأخوال والخالات مودّةً وصلةً وتكريمًا .

إلى كافَة الزّملاء والأصدقاء صبرًا واجتهادًا وتعلّمًا وتعليمًا .

إلى كلّ هؤلاء أهدي هذا الجهد المتواضع وأسأل الله به النّفع لجميع المسلمين.

الطالبة: شيماء غانية

شكر وعرفان

الحمد لله المتفضّل على عباده بجزيل نعائمه، ونحمده سبحانه ونشكره على فضله وإحسانه ونشهد أن لّا إله إلّا الله وحده لا شريك له، الدائم في بره وإفضاله وإنعامه ونشهد أنّ سيدنا محمد عبد الله ورسوله خير الشاكرين وإمام المتّقين، وصلوات الله عليه وعلى آله وأصحابه التّابعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدّين وبعد :

فإنّه يطيب لي أن أرجع لأهل الفضل فضلهم، فإنّ شكر الله سبحانه وتعالى قبل كلّ شي، فله الشّكر أوّلًا وآخرًا وظاهرًا وباطنًا ، ثم أتقدّم بعظيم الشّكر لفضيلة الأستاذ: **"عبد الكريم بوغزالة"** الذي تفضّل وتكرّم بقبول الإشراف على هذه الرسالة، ولقد استفدت من توجيهاته ونصائحه المفيدة .

كما أتقدّم بالشكر الجزيل إلى كلّ من مدّ لي يد العون وأخصّ بالذّكر سعد قدة

وأتقدّم بآيات الشّكر والتقدير لكافة القائمين على هذا الصّرح العلمي الشامخ، جامعة الوادي أساتذة ومسؤولين وموظّفين زادهم الله تعالى حرصًا على الخير واستمراراً في العطاء جزاهم الله خير الجزاء، ووفقهم لما يحب ويرضى .

ملخص البحث

تهدف هذه الدراسة الموسومة بـ: **"المقاصد القرآنية من خلال سورة ص"**، إلى إبراز أهمّية المقاصد، وبيان مدى اهتمام الشّارع بها، لأنّ فهم الكتاب لا يتأتّى إلّا بالإلمام بهذه المقاصد.

وجاءت الدراسة في: مقدّمة، وثلاثة مطالب، وخاتمة.

جعلت المبحث الأوّل: للحديث عن المقاصد عمومًا، بجعل تعريف لها وبيان أهميّتها ودورها في بيان القرآن الكريم، كذلك أقسام هذه المقاصد ومجالاتها.

أمّا المبحث الثاني: فخصّصته لدراسة السورة من حيث تسميتها وترتيبها وعدد آياتها، وموضوعها وسبب نزولها، أيضًا المناسبات التي جاءت على نسقها وبيان فضلها، وأخيرًا عرض محتوياتها وأغراضها.

والمبحث الثالث: حاولت فيه جاهدة الإلمام بالمقاصد التي ترمي إليها هذه السورة خصوصًا، وذلك بتقسيمها إلى مقاطع وعنونتها، ودراسة كلّ منها على حدًا، وإسقاط كلّ منها على الواقع.

وخاتمة كانت قد حوت أهم النتائج والتوصيات.

وفهارس فنية كاشفة عن مضامين الرسالة.

***** والحمد لله أولاً وآخراً *****

Abstract

This study, which is about studying: The koranic purposes through the Sura of "Saad", aims for showing the importance of these purposes, and demonstrating to how much the street is concerned with them.

Becanse the book's understanding can not be achieved anly by gathering these purposes.

This Study involves: an introduction, three chapters and a conchusion.

The first (1st) chapter is about the purposes in general, by defining them and showing their importance and roles in the holy Koran, in addition to their parts and their fields.

However, the second (2nd) chapter: I dedicate it for studying the sura through its naming, arrangement and the number of its verses, its themes and the reason behind its descent.

Also, its events and showing its favor and finally, showing its continents and its aims.

The third(3rd) chpter, I try very hard to gather all the purposes which this sura particularly aims for, And this is by dividing it into parts, entitling them, studying each of them angecting each on reality.

The conclusion included the most important results and recommendations and an index showing the contents of the research.

Thamks to Allah firstly and finaly.

المقدمـــــة

المقدمـــة

الحمد لله الذي نوّر بكتابه القلوب وأنزله في أوجز لفظ وأعجز أسلوب، فأعيت بلاغته البلغاء وأعجزت حكمته الحكماء، وأبكمت فصاحته الخطباء.

والحمد لله الذي هو كما وصف نفسه، فوق ما يصفه به خلقه، والصّلاة والسّلام على رسوله محمد ﷺ، عبده الذي تبيّن في كلّ شيء رشده وصدقه، وعلى آله وصحبه الذين تمسّكوا بهديه، واتّبعوا سبيله، كما كان حقّه.

قال ﷻ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١ ﴾ [الأحزاب: 70-71].

أمّا بعد:

فإنّ القرآن الكريم هو وثيقة النبوّة الخاتمة، ولسان الدّين الحنيف، وقانون الشّريعة الإسلامية، وقاموس اللغة العربية، هو قدوتنا وإمامنا في حياتنا، به نهتدي وإليه نحتكم، وبأوامره ونواهيه نعمل، وعند حدوده نقف ونلتزم، سعادتنا في سلوك سننه وإتباع منهجه، وشقاوتنا في تنكّب طريقه والبعد عن تعاليمه.

ولهذا فقد أمر تعالى بتدبّره، وذمّ من ترك التدبّر حال قراءته قائلًا: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَۚ وَلَوۡ كَانَ مِنۡ عِندِ غَيۡرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخۡتِلَٰفٗا كَثِيرٗا﴾ [النساء: 82].

وقال أيضًا: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَ أَمۡ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقۡفَالُهَآ﴾ [محمد: 24]، فبالتدبّر يمكننا فهم معانيه، ولا يتسدّد هذا الفهم إلّا بمعرفة مقاصده.

ومنه فإنّ علم المقاصد قد شغل في الآونة الأخيرة مساحة واسعة في كتابات العلماء والباحثين بشتّى اتجاهاتهم العلمية، هذا يدلّ على الصحوة العلمية في هذا المجال، وتجاوزًا لحالة السُّبات التي أصابت القُرون المتأخرة بسبب سيادة منطق التقليد والتّبعية في أخذ الأحكام مجردة عن الدليل، فهذا العلم يعتبر النهج الأمثل لفهم كتاب الله ﷻ في ضوء النظر الكلّي التكاملي، وهو المنهج الأقوم الذي يحقّق المنهج الصحيح لمصالح التشريع.

وعليه فإنّ البحث في مقاصد القرآن الكريم يُعين على الفهم الصحيح للشّريعة، ويمكّننا

من الوصول إلى الحكم الشرعي في النّوازل التي لم ينصّ عليها الشّارع، كذلك يُيسّر على النّاس في دينهم ودنياهم، ويُلتمس مراد الله منه، وهذا ما جعلني أتطرق إلى البحث في المقاصد القرآنية بصفة عامة وفي "**المقاصد القرآنية في سورة –ص–**" بصفة خاصة، والتي تحمل في مضمونها جملة من هذه المقاصد.

وقبل أن أدرس الموضوع أعرِّف به إجمالًا، وأوضّح كيفية إنشائه وكتابته.

أوّلًا: أهمية البحث

وتكمن أهميّة الموضوع في عدّة نقاط منها:

1. أنّ النظر في القرآن بطريقة مقاصدية يُعطي لتفسير القرآن الكريم عمقًا وتكاملًا من ناحية اللّفظ والمقصد.

2. التعمّق في مدلولات النصّ القرآني.

3. دراسة المقاصد تبرز لنا إعجاز القرآن وبلاغته وكماله.

4. البحث في هذا العلم يبعث على رسوخ الإيمان، وزيادة نور القلوب، لأنّه يمثل روح القرآن وأسراره العظيمة.

5. إسقاط المقاصد التي احتوتها السورة على واقعنا الحالي.

ثانيًا: أهداف البحث

ولهذا الموضوع أهداف عديدة أذكر منها:

الأهداف العامّة:

1. الحثّ على جميع أنواع الصّبر طاعةً لله تعالى ولنيل أعلى الدرجات عنده سبحانه.

2. بيان مواقف الاستسلام والعودة إلى الحقّ.

3. ترغيب المؤمنين في الطاعة، وترهيبهم وتحذيرهم من المخالفة.

الأهداف الخاصّة:

4. استنتاج المقاصد القرآنية من خلال هذه السورة.

5. بيان المقاصد في كلّ مقطع من موضوعات السورة الكريمة وربطها بالمحور العام لها.

ثالثًا: أسباب اختيار الموضوع

وقع اختياري على هذا الموضوع لأسباب، منها ما هو ذاتي ومنها ما هو موضوعي:

فالأسباب الذاتية:

1. الزيادة في الكسب العلمي.
2. حب الاطلاع على هذا العلم، وتناوله بصفة شخصية، وبيان ما جاء فيه من أمور مستهدفة.

أمّا الأسباب الموضوعية:

1. إبراز المكانة التي يشملها علم المقاصد القرآنية.
2. الرغبة في معرفة المقاصد القرآنية عامّةً، ومقاصد سورة ص خاصّةً.
3. إلقاء الضوء على تفاصيل هذا العلم وما يحتويه.
4. عدم وجود رسائل علمية تدرس المقاصد في هذه السورة على ضوء ما بحثت.
5. أهمية علم المقاصد والحاجة إلى تأصيله وبيان أقسامه ومجالاته وغيرها.

رابعًا: إشكالية الموضوع

إنّ من أسس التّعامل مع القرآن الكريم هي أن نفهم مقاصده، وندرك غاياته، ونقف على أهدافه وما يرمي إلى تحقيقه في النّفس والمجتمع، فمعرفة مقاصد القرآن ابتداءً تَجعل لدى الإنسان تصوّرًا عامًّا عن موضوعات القرآن الكريم، ومجالات اهتمامه.

ومنه يُطرح الإشكال؛ ما هي المقاصد التي تضمنتها سورة ص؟

ومن هذا الإشكال تتفرع إشكالات أخرى:

- ما هي أقسام المقاصد ومجالاتها وما دورها في بيان القرآن الكريم؟
- ما المقصود بالمقاصد؟
- ما موضوع هذه السورة وما هو مراد الله منها؟

وسأجيب عن هذه الإشكاليات في البحث إن شاء الله.

خامسًا: الدراسات السابقة للموضوع

بعد البحث لم أعثر على دراسات سابقة لهذا الموضوع مخصّصة لسورة ص إلّا ما ورد من إشارات لها، أو ما ورد بالعموم في علم المقاصد.

سادسًا: المصادر والمراجع

اعتمدت بشكل مباشر في بحثي هذا على كتب المقاصد خاصّة، والمصادر التفسيرية عامّة، وبعض كتب علوم قرآن واللغة، وكتب السّنة.

سابعًا: منهج البحث

ولقد اتّبعت في هذا البحث المناهج الآتية:

1. المنهج الاستقرائي: وذلك عند تتبع الآيات القرآنية، والنصوص التفسيرية الدّالة على المقاصد، وعند تقصي آراء وأقوال العلماء في ذلك.
2. المنهج الوصفي: ويكمن في الإسقاط على الواقع وذلك عند تصوّر حالات البشرية اليوم.
3. المنهج التحليلي: وذلك بتحليل الآيات الواردة في الموضوع واستنباط واستخراج المقاصد والمواعظ منها.

ثامنًا: منهجية الكتابة في البحث

التزمت عند كتابة البحث بمنهجية معيّنة أذكر أهمّ عناصرها:

1. عزو الآيات بحيث يكون في المتن بالطريقة الآتية: [اسم السورة: رقم الآية]، وجعلت الآية بين الرمزين الآتيين: ﴿ ﴾، مع كتابتها بمصحف المدينة.
2. في الأحاديث النبويّة أذكر الحديث في المتن، وفي الهامش اكتفيت بذكر اسم الكتاب وصاحبه، مع رقم الحديث، ثم الجزء والصفحة، ثم الحكم عليه إن وجد.
3. توثيق المعلومات الواردة في المتن بالهامش يكون كالآتي: المؤلَّف، المؤلِّف، ثم الجزء والصفحة، وتركت باقي المعلومات الخاصّة بالمصدر في فهرس المصادر والمراجع.
4. عند استخدام الكتاب في موضعين متتالين لا يفصل بينهما استخدام كتاب آخر،

فإنّني أورد العبارة الآتية: المرجع نفسه، ثم أردفها برقم الجزء والصفحة، هذا في نفس الصفحة، أمّا إذا ذكر في صفحة أخرى فإنني أذكر: المؤلَّف، المؤلِّف، الجزء والصفحة.

5. لم ألتزم بالترجمةِ لكل علمٍ ذكرتُ له قولًا، لئلَّا أثقل البحث بالحواشي، واكتفيتُ بترجمة موجزة للأعلام التي لهم صلة مباشرة بعلم التفسير وذلك عند بداية ذكر العلَم.

6. إذا نقلت الكلام عن قائله بالمعنى، أو تصرفت فيه، فإنّني أصدر العزو في الهامش بكلمة: "يُنظر"، أمّا إذا كان النقل حرفيًّا فإنّني أجعله بين مزدوجتين كالآتي: " "، والعزو حينئذ يكون خالياً من كلمة: "يُنظر".

7. عند إيراد آراء العلماء أو أقوالهم في جزئية معينّة أذكرهم بالترتيب الزّمني لوفياتهم.

8. التزمت رموزاً معينة لإفادة المعاني الآتية: توفي: ت، الصفحة: ص، رقم الحديث: ر ح، التاريخ الهجري: هـ، التاريخ الميلادي: م.

9. عند دراستي للمقاصد اعتمدت الخطوات الآتية:

- ✓ ذكرت مناسبة الآيات للمحور العام للسورة، ثم مناسبتها لما بعدها.
- ✓ ذكرت المعنى الإجمالي للآيات.
- ✓ أعطيت المقاصد التي احتوتها الآيات.
- ✓ وفي الأخير حاولتُ إسقاط الآيات على الواقع.

10. جعلت الكلمات أو الجمل الاعتراضية بين مطّتين.

11. بعد ذكر أسماء الأعلام وضعت تاريخ وفياتهم بين قوسين.

12. اعتمدت وضع رموز بعد ذكر اسم الجلالة واسم النبيّ ﷺ وأسماء الأنبياء عليهم السلام.

13. أعطيت تمهيدًا في بداية كلّ مبحث أو مطلب، مع إعطاء خلاصة عند نهاية كلّ مبحث.

14. جعلت في آخر الرّسالة فهارس فنيّة، تساعد على كشف محتويات البحث، وتسهّل كيفيّة التّعامل معها ورتّبتها الترتيب الألف بائي.

تاسعًا: خطة البحث

سرت في هذا البحث وفق خطّة معيّنة وهي كالآتي: جعلت فيه مقدمة وثلاثة مباحث وخاتمة وفهارس.

المقدمة: فيها حمد وثناء عن المولى ﷻ، وصلاة وسلام عن النّبي، ثم مدخل للموضوع، وأهمية البحث، وأهدافه، وأسباب اختيار الموضوع، وإشكاليته، والدراسات السابقة له، ومصادر ومراجع الموضوع، ومنهج البحث، ومنهجية الكتابة فيه، وخطة البحث، وصعوباته.

المبحث الأوّل: فيه التعريف بالمقاصد القرآنية ودورها في بيان القرآن الكريم، أيضًا أقسامها ومجالاتها.

المبحث الثاني: خصصّته للتّعريف بالسورة؛ بذكر تسميتها وترتيبها وعدد آياتها ومكيّتها، كذلك موضوعها وسبب نزلها، مناسبات السورة وفضلها، محتوياتها وأغراضها.

المبحث الثالث: أمّا هذا المبحث فهو لبّ الدراسة، وفيه موقف الكافرين من القرآن وعجبهم من رسالة الإسلام، تذكير الكفّار بما نال أسلافهم من العذاب، أيضًا الحكمة من خلق الأكوان وإنزال القرآن، وبيان مهمة الرسول وإثبات الوحدانيّة، وعرض نماذج من قصص الأنبياء (داوود، سليمان، أيّوب، إبراهيم، آدم)، وفي الأخير بيان عقاب الطاغين الأشقياء.

أمّا الخاتمة: فقد أوجزت فيها ما فصّلته خلال البحث، وبيّنت فيها أهمّ النتائج المتوصّل إليها مع إعطاء بعض التوصيات.

والفهارس: جعلت فهارس فنيّة، لـ: الآيات، والأحاديث، والأعلام، والمصادر والمراجع، والموضوعات، لتسهيل عملية التّعامل مع مضمونها.

عاشرًا: صعوبات البحث

إنّ طبيعة البحث العلمي لا تخلو في الغالب من صعوبات تعترض الباحث، ولقد واجهتني صعوبات أذكر منها:

- دقة الموضوع وعمقه لأنّ موضوع المقاصد من المواضيع التي تحتاج إلى نظر فاحص ناقد.

- كثرة المادة العلمية وصعوبة التوفيق بينها.

وبحمد الله تعالى وتوفيقه استطعت أن أتخطاها، ولم تكن حاجزًا في إتمام هذا البحث، وهذا من كرم الله تعالى فله الفضل والمنّة.

وأرجو من الله ﷻ أن يُتمّ ما قصدنا إيراده، ويفتح لنا من خزائن جوده وكرمه ما يكون سببًا للوصول إلى العلم النافع، والهدى الكامل بإذنه تعالى.

المبحث الأول: مفهوم المقاصد القرآنية

ويحتوي على:

المطلب الأوّل: تعريف المقاصد القرآنية

المطلب الثاني: أهمية المقاصد القرآنية ودورها في بيان القرآن الكريم

المطلب الثالث: أقسام المقاصد القرآنية

المطلب الرابع: مجالات المقاصد القرآنية

المبحث الأوّل: مفهوم المقاصد القرآنية

نزل القرآن الكريم هدًى ورحمة للعالمين يُخاطب الأجيال كلّها، فهو حبل الله المتين، والنّور المبين، لذا كان من الحقّ على كل مؤمن أن يدعو بدعاية الله، ويقوم بحقّها الواجب عليه بنشر هدى القرآن، ويبيّن مقاصده، وأن يوجّه الأنظار إلى نوره ليقتبس الناس منه، ويستضيئوا به.

ولا شك أنّ البحث في القرآن يُعدّ في مقدمة العلوم كلّها، لصدارته وفضله، وهو الباعث وراء تطور علومه ونهضتها وعلوم العربية وهمّتها[1].

ولقد كان علم المقاصد من العلوم التي كان لها اهتمام كبير في بيان معاني القرآن الكريم .

فجاءت الدراسة في هذا المبحث متضمّنة لأربعة مطالب؛ لتعريف المقاصد القرآنية من الناحية اللّغوية والاصطلاحية، وبيان أهميتها وتقسيمات العلماء لها، كذلك مجالات هاته المقاصد.

المطلب الأوّل: تعريف المقاصد القرآنية

في هذا المطلب بإذن الله سأدلي بتعريفٍ لهذه المقاصد.

الفرع الأوّل: لغة

قصد: القاف والصاد والدال أصول ثلاثة، تدور على معانٍ عدّة:

1-إتيان الشيء وأَمِّه:

فالأصل: قصَدته قَصْداً ومَقْصَداً، أقْصَدَه السَّهمُ، إذا أصابه فقُتِل مكانه، وكأنّه قيل ذلك لأنَّ لم يَجِد عنه. قال الأعشى:

فأقصدها سهمي وقد كان قبلها *** لأمثالها من نسوة الحي قانصًا

2-الكسْر:

والقِصْدَة: القِطْعة من الشيء إذا تكسَّر، والجمع قِصَدٌ. ومنه قصد الرماح، ورمح قصد، وقد انقصد.

(1) ـ ينظر: مقدمة كتاب نبذ من مقاصد الكتاب العزيز، العز بن عبد السلام، ص 7-8.

قال أبو عبيد:

ترى قصد المران تلقى كأنّها *** تذرع خرصان بأيدي الشواطب

3-الاكتناز:

ومنه النّاقة القصيد: المكتنِزة الممتلِئة لحماً.

قال الأعشى:

قطعت وصاحبي سرح كناز *** كركن الرعن ذعلبة قصيد[1].

وجاء ما يعضد ذلك في اللّسان على أنّ القصد: الاعتماد والأمّ وهو كذلك إتيان الشيء وقصدت قصده: نحوت نحوه والقصد في الشيء: خلاف الإفراط وهو ما بين الإسراف والتقتير.

4-استقامة الطريق:

قال ابن منظور (711 هـ)[2] رحمه الله: قَصدَ يَقصُد قصْدًا، فهو قاصد، وطريق قاصد أي سهل مستقيم، وسفر قاصد سهل قريب، قيل: سفرًا قاصدًا أي غير شاق، ويأتي القصد بمعنى العدل[3].

وما يوافق ذلك قول الفيروزآبادي (817 هـ) رحمه الله[4] في قاموسه: " القَصْدُ: استقامَة الطريقِ، والاعْتِمادُ، والأَمُّ، قَصَدَه، وله، وإليه، يَقْصِدُه، وضِدُّ الإِفْراطِ، كالاقتصاد، ومواصلة الشاعر عمل القصائِد."[5]

---

(1) ـ ينظر: معجم مقاييس اللغة، لابن فارس، 95/5.

(2) ـ بن منظور: محمد بن مكرم بن علي أبو الفضل جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي الإمام اللغوي والحجة، من مؤلفاته: لسان العرب، مختار الأغاني، توفي 711هـ-1311م. ينظر: الأعلام، للزركلي108/7.

(3) ـ ينظر: لسان العرب، لابن منظور، 353/3-354.

(4) ـ الفيروزآبادي: هو محمد يعقوب بن محمد بن إبراهيم مجد الدين الشيرازي الفيروزآبادي، من أئمة اللغة والأدب، كان شافعيا، من مؤلفاته: المغانم المطابة في معالم الطابة، وبصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، توفي: 817هـ. ينظر: الأعلام، للزركلي، 146/7.

(5) ـ القاموس المحيط، الفيروز آبادي، ص 310.

والمقصود: بفتح الميم اسم مفعول من قصد إليه أي توجّه، وهي الغاية التي يرغب فيها المتصرِّف، ومقصود الشارع غايته وهدفه.[1]

ومنه يمكن القول أن جلّ هذه التعريفات اللّغوية تدور حول: إتيان الشيء، والعزم، والتوجّه نحوه، ويؤول إلى معان أخرى، كالأَمِّ، والعدل، والاعتماد، واستقامة الطريق.

الفرع الثاني: اصطلاحًا

لم يوجد عند العلماء الأوائل تعريف واضح أو محدد أو دقيق للمقاصد(حسب المصادر المطلع عليها)، "وإنما وجدت كلمات وجُمل لها تعلّق ببعض أنواعها وأقسامها، وببعض تعبيراتها ومرادفاتها، كقولهم (الأمور بمقاصدها، أو مراد الشارع، أسرار الشريعة..)، وبأمثلتها وتطبيقاتها، وبحجيّتها وحقيقتها، لكنّها حظِيت في العصر الحديث بعناية خاصة من قِبل العلماء والباحثين؛ وذلك لأهميّتها ودورها في عملية الاجتهاد الفقهي، وفي معالجة قضايا الحياة المعاصرة في ضوء الأدلة والنصوص والقواعد الشرعية، كما تعتبر المقاصد الشرعية جزءًا من المقاصد القرآنية"[2].

وسأذكر في هذا الفرع بعض التعريفات الاصطلاحية التي وجدتها، منها:

1-تعريف الإمام الغزالي (505 هـ)[3] رحمه الله لها بقوله: "انحصرت سور القرآن وآياته في ستة أنواع: ثلاثة منها هي السوابق والأصول المهمة، والثلاثة هي الروافد والتوابع المغنية المتمّة"[4].

(1) ـ ينظر: معجم لغة الفقهاء، محمد قلعجي، ص 454.

(2) ـ علم مقاصد الشريعة، نور الدين الخادمي، ص 15.

(3) ـ الإمام الغزالي: محمد بن أحمد الغزالي الطوسي، أبو حامد، الإمام الفقيه، المتكلم، النظار، المصنف، الشافعي، الصوفي، حجة الإسلام، من تلاميذه: أبو سعيد التوقاني، محمد بن منصور، من مؤلفاته: الإحياء، جواهر القرآن ودرره، توفي: 505 هـ. ينظر: طبقات الفقهاء الشافعية، لابن الصلاح، 259/1.

(4) ـ جواهر القرآن، للغزالي، ص 32.

2-أمّا الإمام بن عاشور (1393 هـ)[1] رحمه الله قال هي: " المعاني والحكم الملحوظة للشارع في جميع أحوال التشريع أو معظمها، بحيث لا تختص ملاحظتها بالكون في نوع خاص من أحكام الشريعة، فيدخل في هذا أوصاف الشريعة وغاياتها العامة والمعاني التي لا يخلوا التشريع عن ملاحظتها، ويدخل في هذا معان من الحكم ليست ملحوظة في سائر أنواع الأحكام ولكنها ملحوظة في أنواع كثيرة منها" [2].

"كذلك أنّ القرآن أنزله الله تعالى كتابًا لصلاح أمر الناس كافة رحمة لهم ولتبليغهم مراد الله منهم، فكان المقصد الأعلى منه صلاح الأحوال الفردية، والجماعية، والعمرانية، فمراد الله من كتابه هو بيان تصاريف ما يرجع إلى حفظ مقاصد الدّين" [3].

3-وعرّفها علاّل الفاسي[4] (1394 هـ) رحمه الله على أنّها: "الغاية منها، والأسرار التي وضعها الشارع عند كل حكم من أحكامها" [5].

4-أمّا تعريف المقاصد من الناحية الأصولية هي: "الأمور المتضمنة للمصالح والمفاسد في أنفسها" [6].

بعد الاطلاع على كل هذه التعريفات يمكن القول أن المقاصد القرآنية هي الحِكم والغايات و المآلات التي جاء القرآن لتحقيقها جلبًا لمصالح العباد ودرءًا للمفاسد عنهم.

---

(1) ـ الإمام بن عاشور: هو محمد الطاهر بن محمد الطاهر بن عاشور، الإمام الضليع في العلوم الشرعية واللغوية والأدبية والتاريخية، من شيوخه: صالح الشريف، إبراهيم المارغيني، من مؤلفاته: التحرير والتنوير، مقاصد الشريعة الإسلامية، توفي: 1393 هـ. ينظر: تراجم المؤلفين التونسيين، 3/304-307.

(2) ـ مقاصد الشريعة الإسلامية، ابن عاشور، ص 251.

(3) ـ التحرير والتنوير، ابن عاشور، 1/38-39.

(4) ـ علال الفاسي: علال بن عبد الواحد بن عبد السلام الفاسي، سياسي وأديب مغربي، من شيوخه: محمد بن جعفر الكتاني، لم يكن له تلاميذ، من مؤلفاته: تاريخ التشريع الإسلامي، توفي: 1394هـ-1974م. ينظر: نبذة عن الراحل علال الفاسي جريدة العلم، تاريخ الولوج 3 ماي 2014، مع علال الفاسي في (وصيته) من أجل مجتمع ملتزم بالإسلام وقيمه. تاريخ الولوج 14 يونيو 2014.

(5) ـ مقاصد الشريعة الإسلامية ومكارمها، علال الفاسي، ص 7.

(6) ـ القاموس المبين في اصطلاحات الأصوليين، محمود عثمان، ص 282.

المطلب الثاني: أهميّة المقاصد القرآنية ودورها في بيان القرآن الكريم

يرى الإمام بن عاشور أن النّظر في المقاصد والبحث فيها من أول مجالات الاجتهاد، وأنه ليس من باب الترف العقلي، وإنما هو ذو غايات عملية تَهُمُّ المسلمين في حياتهم الفكرية والاجتماعية الراهنة، إذ القصد منه إغاثتهم بتشريع مصالحهم الطارئة متى نزلت الحوادث واشتبكت النوازل [1].

وعلى هذا فإنّ للمقاصد أهميّة عظيمة خصوصًا في فهم القرآن وتفسيره، فسأبرز بإذن الله تعالى في هذا المطلب؛ مدى أهميّة هذه المقاصد ودورها في بيان القرآن الكريم.

فتظهر أهمّية المقاصد القرآنية في:

1-أنّ معرفة مقاصد القرآن الكريم هي المدخل السليم إلى فهم الرسالة القرآنية الإسلامية على وجهها الصحيح: وذلك يكون بلا زيادة ولا نقصان، ولا إفراط ولا تفريط، فمقاصد القرآن إنّما هي ما نصّ عليه القرآن، وما نزل لأجله، وما استُخلِص من جملةٍ من معانيه وأحكامه"[2].

2-كما يمكن أيضًا للمفسر إذا لم يجد النّص الدّال على معنى الآية من القرآن نفسه، أو من سنّة الرّسول ﷺ، أو أقوال الصّحابة رضي الله عنهم، اجتهد في تفسيرها بحسب ما يفهم من لغة العرب التي نزل بها القرآن الكريم، ولكن تفسيره للقرآن في هذه الحال يجب أن يكون مراعيًا فيه مقاصد الشارع، بحيث لا يسوقه الفهم العربي المجرد على الخروج عن مقاصد الشارع[3].

---

(1) ـ ينظر: مقاصد الشريعة الإسلامية، بن عاشور، ص 86.

(2) ـ مقاصد المقاصد، أحمد الريسوني، ص 27.

(3) ـ علم مقاصد الشارع، عبد العزيز بن ربيعة، ص 288.

وعلى قول الإمام الشاطبيّ رحمه الله: "فإنّ القرآن والسنة لما كانا عربيين لم يكن لينظر فيهما إلا عربي، كما أنّ من لم يعرف مقاصدهما لم يَحِلْ له أن يتكلم فيهما، إذ لا يصح له نظر حتى يكون عالما بهما، فإنّه إذا كان كذلك، لم يختلف عليه شي من الشريعة."

3-كذلك أنّ علم مقاصد السور راجع إلى تحقيق المقصد من إنزال القرآن كلّه وهو التدبّر والهداية، كما قال تعالى: ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ٢٩ ﴾ [ص: 29].

فالله تعالى أمرنا بالتدبر لمعرفة مراده سبحانه وتعالى من كلامه والعمل به، وليس المقصود بالتدبّر هو النظر في عباراته وألفاظه دون النظر لمقاصده ومراد الله تعالى فيه، وما تهدي إليه سوره وآياته من الهدايات والدلالات التي بها يتحقق الفهم والعمل.

4-كما تتجلى هذه الأهميّة في أنّ مقصد السورة هو أصل معانيها التي ترجع إليها، فهو أصل في فهم معاني كلام الله تعالى، ولهذا فإن معاني السورة لا تتحقق إلا بعد استيفاء جميعها بالنظر واستخراج مقصدها [1].

ولمقاصد القرآن أمرين آخرين:

أحدهما: كونه شريعة دائمة، وذلك يقتضي فتح أبواب عباراته لمختلف استنباط المستنبطين، حتى تؤخذ منه أحكام الأولين والآخرين.

وثانيهما: تعويد حَمَلة هذه الشريعة، وعلماء هذه الأمة، بالتنقيب، والبحث، واستخراج المقاصد من عويصات الأدلة، حتى تكون طبقات علماء الأمة صالحة في كلّ زمان لفهم تشريع الشارع ومقصده من التشريع [2].

5-أيضًا يُحتاج إلى علم المقاصد في التّعامل مع أخبار الآحاد، كذلك في استنباط علل الأحكام الشرعيّة لتُتَّخذ أساسًا للقياس [3].

---

(1) ـ ينظر: علم مقاصد السور، محمد بن الربيعة، ص 11.

(2) ـ ينظر: التحرير والتنوير: بن عاشور، 158/3.

(3) ـ ينظر: أهمية المقاصد القرآنية في الشريعة الإسلامية وأثرها في فهم النص واستنباط الحكم، عبد الوهاب الجندي، ص 98.

فمن هذا تنبع أهميّة هذا العلم من كونه وسيلة لتحقيق المقصد من إنزال القرآن، وهو التدبّر، وذلك بأنّ التدبّر لا يكون إلّا بعد فهم المعاني، ومقصد كلّ سورة هو أصل معانيها الذي ترجع إليه.

المطلب الثالث: أقسام المقاصد القرآنية

اختلف العلماء في تقسيم هذه المقاصد كل حسب رأيه واجتهاده، فسأورد بعض هذه الآراء والاختلافات بدءًا بتقسيم الإمام أحمد الرّيسوني (1343هـ).

قسم الإمام ﷺ المقاصد إلى ثلاثة أقسام وهي كالآتي:

- ✓ **المقاصد التفصيلية للآيات القرآنية**

هذه المقاصد هي التي يعنى بها عامة المفسرين، سواء جاء ذلك مقصودا وصريحا منهم، أو فهم ضمنا من كلامهم، إذ بيان المعاني والحكم المقصودة من كل آية، وكل جملة وكل لفظة قرآنية، هو غرض المفسر من تفسيره.

- ✓ **مقاصد السور**

أول بداية واضحة نجدها في هذا المضمار، هي كتاب مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور لبرهان الدين البِقاعي[1] المتوفى سنة (885 هـ) ﷺ .

وقد تزايد اعتناء العلماء بهذا القسم في العصر الحديث، وبالوحدة الموضوعية لكل سورة، فمثلا نجده عند الطاهر بن عاشور في التحرير والتنوير، ومحمود شلتوت في تفسيره لبعض سور القرآن، وعند عبد الله دراز في كتابه النّبأ العظيم ... إلخ.

- ✓ **المقاصد العامّة للقرآن**

يتعلق هذا القسم بالمقاصد العامة الجامعة، التي أنزل القرآن لأجل بيانها للناس، وتوجيههم إليها، وحثهم على إقامتها ورعايتها، بحيث نجد العناية بها والقصد إلى تحقيقها في عامة سوره

---

(1) ـ البقاعي: إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط –بضم الراء وتخفيف الباء– بن علي بن أبي بكر البقاعي، أبو الحسن برهان الدين مؤرخ أديب، من شيوخه: الامام الجزري، و بن حجر العسقلاني، وأخذ عنه خلق كثير، من مؤلفاته: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، توفي سنة: 885 هـ. ينظر: البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، للشوكاني، 18/1.

وأجزائه، سواء أكانت في عقائده أم في أحكامه وآدابه، أم في قصصه أم في أي صنف من آياته [1].

وهذه المقاصد العامة للقرآن يمكننا التعرف عليها من خلال مسلكين أو بابين:

المسلك الأول: ما جاء التنصيص عليه في القرآن نفسه، من أغراض وأوصاف وتعليلات لهذا الكتاب العظيم وما أنزل لأجله، وما يتحقق بتلاوته وإتباعه من نتائج وآثار وفوائد.

المسلك الثاني: هو استقراء مضامينه وأحكامه التفصيلية، واستنباط العناصر المشتركة الجامعة لما تركز عليه وما تدعو إليه.

تقسيم الإمام محمود شلتوت (1383 هـ)[2] رحمه الله : يرى الإمام أن المقاصد تدور حول نواحٍ ثلاث: ناحية العقيدة، وناحية الأخلاق، وناحية الأحكام.

أمّا ناحية العقائد: فهي تطهر القلب من بذور الشرك والوثنية، وتربطه بمبدأ الروحية الصافية، وهي تشمل ما يجب الإيمان به في جانب الله من صفات الجلال والكمال، وما يجب الإيمان به في جانب الوحي والرسالات من الملائكة والكتب والنبيين، وما يجب الإيمان به في حالات يوم الآخر من البعث والجزاء.

ومن ناحية الأخلاق: فتهذب النفس وتزكيها، وترفع من شأن الفرد والجماعة، وتقوي عرى التآخي والتعاون بين بني الإنسان، وتشمل: الصدق، والوفاء بالعهد، والحلم، والجود، والرحمة، وغيرها مما يحقق في الإنسان ثمرة إيمانه بالله وصفاته التي يجب أن يكون عليها عباده.

وناحية الأحكام: فهي ما بيّنه الله في كتابه، أو بين أصوله من النظم التي يجب إتباعها في تنظيم علاقة الإنسان بربه، وعلاقته بأخيه الإنسان، وتشمل: أحكام الصلاة، والزكاة، والصوم، والحج، واليمين، والنذر، وما إلى ذلك مما يدخل في دائرة العبادات التي تغذي الإيمان وتنمّي ثمرته، وتشمل: أحكام الزواج والطلاق، وما يتبعها من مهر ونفقة، ورضاعة ونسب، وعدة، ووصية، وإرث، وما إلى ذلك مما يدخل في دائرة الأحوال الشخصية، وأحكام الأسرة، وتشمل:

---

(1) ـ ينظر: مقاصد المقاصد، أحمد الريسوني، ص 9-11.

(2) ـ محمود شلتوت: فقيه مفسر مصري كان داعية إصلاح، نير الفكرة، وكان شيخا للأزهر، من مؤلفاته: القرآن والمرأة، توجيهات الإسلام، توفي: 1383 هـ. ينظر: الأعلام، للزركلي، 7/173-174.

أحكام البيع والإجارة، والرهن، والمداينة، وما إلى ذلك مما يدخل في دائرة المعاملات المالية، وتشمل: أحكام الجنايات، والجرائم، كالقتل والسرقة، وما إلى ذلك مما يدخل في دائرة العقوبات وتشمل: أحكام الحرب والسلم ومما يتبعها من غنائم وأسرى، ومعاهدات، وما إلى ذلك مما يدخل في دائرة الأحكام الدولية العامة [1].

تقسيم الإمام الطّاهر ابن عاشور (1393 هـ) رحمه الله :

خصّ الإمام بن عاشور مقدمته الرابعة ببيان المقاصد القرآن، ثم قام بذكر ما توصل إليه من تقسيماتها وهي كالآتي:

أولًا: إصلاح الاعتقاد وتعليم العقد الصحيح قال: "وهذا أعظم سبب لإصلاح الخلق، لأنه يزيل عن النفس عادة الإذعان لغير ما قام عليه الدليل، ويطهر القلب من الأوهام الناشئة عن الإشراك والدهرية وما بينهما، كما جاء في قوله تعالى: ﴿ وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ ۖ فَمَآ أَغْنَتْ عَنْهُمْ ءَالِهَتُهُمُ ٱلَّتِى يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ لَّمَّا جَآءَ أَمْرُ رَبِّكَ ۖ وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبٍ ﴿١٠١﴾ ﴾ [هود: 101] "[2].

ثانيًا: تهذيب الأخلاق كما جاء في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ ﴾ [القلم: 4].

وفسرت السيدة عائشة رضي الله تعالى عنها لما سئلت عن خلقه ﷺ فقالت: {كان خلقه القرآن} [3]، وفي الحديث الذي رواه مالك في الموطأ بلاغا أن رسول الله ﷺ قال: {بعثت لأتمم صالح الأخلاق} [4]،

ثالثًا: التشريع هو الأحكام خاصة وعامة، قال تعالى: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ ۚ وَلَا تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ خَصِيمًا ﴿١٠٥﴾ ﴾ [النساء: 105].

---

(1) ـ ينظر: إلى القرآن الكريم، محمود شلتوت، ص 5-6.

(2) ـ ينظر: التحرير والتنوير، لابن عاشور، 40/1.

(3) ـ أخرجه أحمد في مسنده، رح: 25302، إسناد صحيح على شرط الشيخين. ينظر: تعليقات نفس المرجع، 183/42.

(4) ـ المستدرك على الصحيحين، للحاكم، كتاب: تواريخ المتقدمين من الأنبياء والمرسلين، باب: ومن كتاب آيات رسول الله التي هي من دلائل النبوة، رح: 4221، حديث صحيح على شرط مسلم. ينظر: تعليقات نفس المرجع، 270/2.

ولقد جمع القرآن جميع الأحكام جمعا كليا في الغالب، وجزئيا في المهم، والمراد بهما إكمال الكليات التي منها الأمر بالاستنباط والقياس.

رابعًا: سياسة الأمة وهو باب عظيم في القرآن القصد منه صلاح الأمة وحفظ نظامها، وقد أشار سبحانه وتعالى إلى هذا بقوله: ﴿ وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَـٰنِهِمْ لَئِن جَآءَتْهُمْ ءَايَةٌ لَّيُؤْمِنُنَّ بِهَا ۚ قُلْ إِنَّمَا ٱلْـَٔايَـٰتُ عِندَ ٱللَّهِ ۖ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَآ إِذَا جَآءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠٩﴾ ﴾ [الأنعام: 109].

خامسًا: القصص وأخبار الأمم السالفة للتأسي بصالح أحوالهم، قال تعالى: ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلْغَـٰفِلِينَ ﴿٣﴾ ﴾ [يوسف: 3].

سادسًا: التعليم بما يناسب حالة عصر المخاطبين، وما يؤهلهم إلى تلقي الشريعة ونشرها وذلك علم الشرائع وعلم الأخبار وكان ذلك مبلغ علم مخالطي العرب من أهل الكتاب، وقد زاد القرآن على ذلك تعليم حكمة ميزان العقول وصحة الاستدلال في أفانين مجادلاته للضالين وفي دعوته إلى النظر، ثم نوه بشأن الحكمة فقال: ﴿ يُؤْتِى ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَـٰبِ ﴿٢٦٩﴾ ﴾ [البقرة: 269].

وهذا أوسع باب انبجست منه عيون المعارف، وانفتحت به عيون الأميين إلى العلم.

وقد لحق به التنبيه المتكرر على فائدة العلم، وذلك شيء لم يطرق أسماع العرب من قبل، إنما قصارى علومهم أمور تجريبية، وكان حكماؤهم أفرادا اختصوا بفرط ذكاء تضم إليه تجربة وهم العرفاء فجاء القرآن بقوله: ﴿ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَـٰلِمُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾ [العنكبوت: 43].

وقوله: ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ ﴿٩﴾ ﴾ [الزمر: 9].

وقال أيضا منبها إلى مزية الكتابة: ﴿نٓ ۚ وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴿١﴾ ﴾ [القلم: 1].

سابعًا: المواعظ والإنذار والتحذير والتبشير، وهذا يجمع جميع آيات الوعد والوعيد، وكذلك المحاجة والمجادلة للمعاندين، وهذا باب الترغيب والترهيب.

ثامنًا: الإعجاز بالقرآن ليكون آية دالة على صدق الرسولﷺ؛ إذ التصديق يتوقف على دلالة المعجزة بعد التحدي، والقرآن جُمِع كونه معجزة بلفظه ومتحدي لأجله بمعناه والتحدي وقع فيه، في قوله تعالى: ﴿ فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ ﴿٢٣﴾ ﴾ [البقرة: 23].

ولمعرفة أسباب النزول مدخل في ظهور مقتضى الحال ووضوحه [1].

المطلب الرابع: مجالات المقاصد القرآنية

تعددت المجالات التي جاءت على نسقها المقاصد في القرآن الكريم، فسأتطرق في هذا المطلب إلى إيراد هذه المجالات، والتي بدورها تنقسم إلى أربعة أقسام وهي:

❖ مقاصد العقيدة في القرآن الكريم:

جاء القرآن لتقرير التوحيد ونفي ضده، وأكثر الآيات يقرر الله فيها توحيد الألوهية، وإخلاص العبادة لله وحده، لا شريك له، ويخبر أن جميع الرسل إنما أرسلت تدعوا قومها إلى أن يعبدوا الله ولا يشركوا به شيئا، وأن الله تعالى إنما خلق الجن والإنس ليعبدوه، وأن الكتب والرسل بل الفطر والعقول السليمة كلها اتفقت على هذا الأصل، الذي هو أصل الأصول كلها، وأن من لم يَدِنْ بهذا الدين الذي هو إخلاص العبادة والقلب والعمل لله وحده فعمله باطل كما جاء في قوله تعالى: ﴿ وَلَوْ أَشْرَكُواْ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٨٨﴾ ﴾ [الأنعام: 88].

ويدعوا العباد إلى ما تقرر في فطرهم وعقولهم من أن الله المنفرد بالخلق والتدبير والمنفرد بالنعم الظاهرة والباطنة هو الذي يستحق العبادة وحده، ولا ينبغي أن يكون شيء منها لغيره، وأن سائر الخلق ليس عندهم أي قدرة على خلق، ولا نفع، ولا دفع ضر، عن أنفسهم فضلا عن أن يغنوا عن أحد غيرهم من الله شيئا [2].

---

(1) ـ ينظر: التحرير والتنوير، لابن عاشور، 1/40-41.

(2) ـ ينظر: القواعد الحسان لتفسير القرآن، عبد الرحمان سعدي، 1/20.

❖ **مقاصد الأحكام في القرآن الكريم:**

قال فيها شيخ الإسلام بن تيمية رحمه الله (728 هـ)[1]: "والمقصود بجميع العبادات أن يكون الدين كله لله وحده، فالله هو المعبود والمسؤول الذي يخاف ويرجى ويسأل ويعبد فله الدين خالصا وله أسلم من في السموات والأرض طوعًا وكرهًا، والقرآن مملوء من هذا كما جاء في قوله تعالى: ﴿ إِنَّآ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ فَٱعۡبُدِ ٱللَّهَ مُخۡلِصٗا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴾ [الزمر: 2] [2].

وعلى هذا فإنّ الفقه في الأحكام لا يصلح إذا تجرد من مقاصد الشريعة، كذلك أنّ معرفة المقاصد هي روح الفقه، وهي الشريان الأساسي لاستمرار صلاحية هذه الشريعة الربانيّة وأحكامها الخالدة، وهي تحتل مكانة رفيعة في الفقه بشكل عام [3].

فالله سبحانه وتعالى شرّع الأحكام والشّرائع لعبادته وحده ولرعاية مصالح العباد، حيث أنّ جميع الأحكام والأوامر والنواهي في القرآن الكريم جاءت لغايات ومقاصد وأهداف مختلفة.

❖ **مقاصد الأخلاق في القرآن الكريم:**

من تأمّل في آيات القرآن وأمعن فيها النّظر، ظهر له صور ومجالات من دعوة القرآن إلى مكارم الأخلاق ومعاليها، ووجوب التحليّ بها، فالأخلاق ميزان شرعيّ يهذّب الإنسان، ويرقى به إلى مدارج الإنسانية الفاضلة، وجاء قوله تعالى وصفًا لنبيّه: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٖ ۝٤ ﴾ [القلم: 4]، ولقد خصّ الإمام السعدي (1376 هـ)[4] رحمه الله مجال الأخلاق في كتابه "القواعد الحسان" بقاعدة خاصة حيث قال فيها: "من قواعد القرآن أنه يستدل بالأقوال والأفعال على ما صدرت عنه من الأخلاق والصفات.

---

(1) ـ ابن تيمية: هو تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الله ابن تيمية الحراني، العلامة، شيخ الإسلام، من شيوخه: زين الدين الدائم، بن أبي ابيسر، من تلاميذه: ابن القيم، من مؤلفاته: توفي 728 هـ. ينظر: العقود الدرية من مناقب الشيخ بن تيمية، ص 1-7.

(2) ـ مجموع الفتاوى، بن تيمية، 151/26.

(3) ـ ينظر: أهمية علم المقاصد، الجندي، ص 100.

(4) ـ الإمام السعدي: هو أبو عبد الله بن ناصر بن حمد آل سعدي، الشيخ العلامة، من مؤلفاته: تيسير الكريم الرحمان في تفسير كلام المنان، تيسير اللطيف المنان في خلاصة تفسير القرآن، توفي: 1376 هـ. ينظر: علماء نجد خلال ثمانية قرون، عبد الله البسام، 218/3.

وهذه قاعدة جليلة فإن أكثر الناس يُقْصر نظره على نفس اللفظ الدال على ذلك القول أو الفعل من دون أن يفكر في أصله وقاعدته التي أوجبت حضور ذلك الفعل والقول، والفطن اللّبيب ينظر إلى الأمرين ويعرف أن هذا لازم لهذا، أو هذا ملزم لهذا.

فمن ذلك قوله تعالى عن عباد الرحمان أنهم: ﴿ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ﴿٦٣﴾ ﴾ [الفرقان: 63]

ذلك صادر عن وقارهم وسكينتهم وخشوعهم وعن حلمهم الواسع وخلقهم الكامل وتنزيههم لأنفسهم عن مقابلة الجاهلين، ومثل قوله: ﴿ وَحُشِرَ لِسُلَيْمَٰنَ جُنُودُهُۥ مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ وَٱلطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٧﴾ ﴾ [النمل: 17]، يدل على ذلك حسن إدارة الملك وكمال السياسة وحسن النظام.

وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا۟ ٱللَّغْوَ أَعْرَضُوا۟ عَنْهُ وَقَالُوا۟ لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِى ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٥٥﴾ ﴾ [القصص: 55] "[1]، يدلّ على حسن الخلق ونزاهة النفس عن الخلاق الرذيلة وعلى سعة عقولهم وقوة حلمهم واحتمالهم.

فقد اهتمّ القرآن الكريم بالمسائل الأخلاقيّة، فهي بمثابة القاعدة الرّصينة، والبناء التحتي الذي يقوم عليه صرح الشريعة الإسلامية.

❖ مقاصد الأساليب في القرآن الكريم:

تنوّعت واختلفت الأساليب التي خاطب الله بها عباده في القرآن الكريم، وكان لكل أسلوب مقاصده الخاصة، سأعطي بعض النماذج لها.

من أنواع هذه الأساليب:

أسلوب القصص: الذي جاء في كتابه سبحانه من أخبار الأنبياء مع أقوامهم فقد قص الله علينا في كتابه قصصا طيبة من أخبار أنبيائه، ووصفها بأنها أحسن القصص، وهذا الوصف من الله العظيم يدلّ على أنها أصدقها وأبلغها وأنفعها للعباد؛ فمن أهم منافع هذه القصص أن بها يتم ويكمل الإيمان بالأنبياء عليهم السلام، فإننا وإن كنا مؤمنين بجميع الأنبياء على وجه

(1) ـ القواعد الحسان، للسعدي، 159/1.

العموم والإجمال، فالإيمان التفصيلي المستفاد من قصصهم يصل به العبد إلى الإيمان الكامل، وهو من مواد زيادة الإيمان.

أيضا أن في قصصهم تقرير للإيمان بالله، وتوحيده، وإخلاص العمل له، والإيمان باليوم الآخر، وبيان حسن التوحيد ووجوبه، وقبح الشرك، وأنه سبب الهلاك في الدنيا والآخرة.

وفي قصصهم كذلك عبرة للمؤمنين يقتدون بهم في جميع مقامات الدين؛ في مقام التوحيد والقيام بالعبودية، وفي مقامات الدعوة والصبر والثبات.

وفيها أيضا من الفوائد الفقهية والأحكام الشرعية والأسرار الحكمية شيء عظيم لا غنى لكل طالب علم عنها.

وفيها أيضا من الوعظ والتذكير والترغيب والترهيب، والفرج بعد الشدة، وتيسير الأمور بعد تعسرها، فليس المقصود من قصصهم أن تكون فقط سمرا، وإنما الغرض الأعظم منها أن تكون تذكيرا وعبرا [1].

ومن أساليب القرآن الكريم أيضًا:

ضرب الأمثال: وهذا النوع يذكره الباري سبحانه في الأمور المهمة، كالتوحيد وحال الموحد والشرك وحال أهله، والأعمال العامة الجليلة.

ويقصد بذلك كله توضيح المعاني النافعة، وتمثيلها بالأمور المحسوسة، ليصير القلب كأنه يشاهد معانيها رأي العين، وهذا من عناية الباري بعباده ولطفه [2].

كذلك أسلوب الحوار: عني القرآن الكريم عناية بالغة بالحوار، فهو الطريق الأمثل للإقناع الذي ينبع من أعماق صاحبه، والاقتناع هو أساس الإيمان الذي لا يمكن أن يُفرض ولكنه ينبع من داخل الإنسان.

وقدم لنا القرآن الكريم نماذج كثيرة من الحوار، منها ما دار بين الله جلّ في علاه وملائكته في موضوع خلق آدم عليه السلام، ومنها ما دار بينه سبحانه وبين إبراهيم عليه السلام، ومن ذلك قصة موسى عليه السلام وقصة عيسى عليه السلام، وقصة قارون مع قومه، وداوود عليه السلام مع قومه، وشعيب عليه السلام

(1) ـ ينظر: تيسير اللطيف المنان في خلاصة تفسير القرآن، للسعدي، ص 170.

(2) ـ القواعد الحسان، للسعدي، 64/1.

مع قومه، وقصة موسى عليه السلام والعبد الصالح، والأمثلة كثيرة جدا في الكتاب العزيز، وكلها تدل على أهميّة الحوار، ومن الاطلاع على هذه النماذج وأمثلتها، يتأكد لنا أن القرآن الكريم يعتمد اعتمادا كبيرا على أسلوب الحوار، في توضيح المواقف، وجلاء الحقائق وهداية العقل، وتحريك الوجدان، وفتح المسالك التي تؤدي إلى حسن التلقي والاستجابة، والتدرج بالحجة، احتراما لكرامة الإنسان وإعلاء لشأن عقله الذي ينبغي أن يقتنع على بينة ونور [1].

(1) ـ ينظر: في أصول الحوار، الندوة العالمية للشاب الإسلامي، ص 13-14.

بعد دراستي لبعض النّقاط في علم المقاصد، ظهر لي أنّه علم واسع ومستفيض بتعدّد أقسامه ومجالاته، ومعمّق أيضًا بحيث يحتاج الباحث فيه إلى دقّة وتحرّز من الوقوع في الخطأ عند استخراج هذه المقاصد من الآيات الكريمة، وهو من العلوم التي يرتكز عليها القرآن بدرجة كبيرة، ويظهر ذلك في الأهميّة العظمى التي يمتلكها في بيان مراد ما جاء به القرآن العظيم.

المبحث الثاني: التعريف بسورة ص

ويحتوي على:

المطلب الأوّل: تسمية السورة وترتيبها وعدد آياتها

المطلب الثاني: موضوع السورة وسبب نزولها

المطلب الثالث: مناسبات السورة وفضلها

المطلب الرابع: محتويات السورة وأغراضها

المبحث الثاني: التعريف بسورة "ص"

تعدّ سورة ص من السور المكيّة التي تتّسم بمعالجة قضايا التوحيد الخالص، والإيمان بالبعث والحساب، كما تتميّز بالتحدّي، ومقارعة ومحاججة المشركين، وسرد بعض القصص التي تتحدث عن الأمم الغابرة، والتحذير من الشرك بالله تعالى.

ففي هذا المبحث أنا بصدد دراسة هذه السورة، من جميع حيثياتها؛ تسميةً وترتيبًا وعدد الآيات فيها، كذلك موضوعها وأسباب نزولها، أيضًا مناسبات السورة وفضلها وأغراضها.

المطلب الأوّل: تسمية السورة وترتيبها وعدد آياتها

لكل سورة أسماءها سوى كانت توقيفية أم اجتهادية، ففي هذا المطلب سأتعرض لبيان تسمية السورة وترتيبها وعدد آياتها.

الفرع الأوّل: تسمية السورة وترتيبها

أوّلًا: تسمية السورة

يقول في تسميتها الإمام بن عاشور (1393 هـ)رحمه الله : سميت في المصاحف وكتب التفسير وكتب السنة والآثارِ عن السلف بسورة صادكما يُنطَق باسم حرف الصاد تسمية لها بأول كلمة منها هي صاد[1].

وجاء في كتاب جمال القراء للسخاوي (643 هـ)[2]رحمه الله : على أنّ سورة ص تسمى أيضاً سورة داوود ولم يذكر سنده في ذلك[3]، كما كتب اسمها في المصاحف بصورة حرف الصاد مثل

(1) ـ ينظر: التحرير والتنوير، طاهر بن عاشور، 201/23.

(2) ـ الإمام السخاوي: هو الشيخ الإمام العلامة شيخ القراء والأدباء علم الدين أبو الحسن علي بن محمد بن عبد الصمد بن عطاس الهمداني، المصري، السخاوي، الشافعي، نزيل دمشق، من شيوخه: الشاطبي، الكندي، من تلاميذه: رشيد الدين بن أبي الدر، وزين الدين الزواوي، من مؤلفاته: جمال القراء وكمال الإقراء، منير الدباجي في الآداب، توفي سنة: 643 هـ. ينظر: سير أعلام النبلاء، 124/23.

(3) ـ جمال القراء وكمال الإقراء، للسخاوي، ص 91.

سائر الحروف المقطعة في أوائل السور اتّباعاً لما كتب في المصحف، وهي مكيّة في قول جميع المفسّرين والفقهاء[1].

وكان قول الإمام الزحيلي (1436هـ)[2] رحمه الله مماثلاً لهذا القول: "سميت سورة ص لافتتاحها بهذا الحرف العربي أحد أحرف الهجاء الثمانية والعشرين، للدلالة على أن هذا القرآن العظيم مكوّن ومنظوم من حروف الهجاء العربية، ومع ذلك لم يستطع العرب الفصحاء الإتيان بمثل أقصر سورة منه، فبدئ به في هذه السورة كغيرها من السور المبدوءة بحروف هجائية، بقصد تحدي العرب، وإثبات إعجاز القرآن[3].

ثانيًا: ترتيبها

سورة ص هي السورة الثامنة والثلاثون في عداد نزول السور نزلت بعد سورة القمر وقبل سورة الأعراف، وترتيبها في المصحف الثامن والثلاثون[4].

الفرع الثاني: عدد آياتها ومكيّها

أوّلًا: عدد آياتها

جاء في كلِمِها أنّها سبع مئة واثنتان وثلاثون كلمة، وحروفها ثلاثة آلاف وتسعة وستون حرفا، وهي ثمانون وخمس آيات في البصري وهو عدد عاصم الجحدري.

وست في عدد المدنيين والمكي والشامي وأيوب بن المتوكل، وثمان في الكوفي.

واختلافها ثلاث آيات، قوله تعالى: ﴿صٓۚ وَٱلۡقُرۡءَانِ ذِي ٱلذِّكۡرِ ١﴾[ص: 1] عدها الكوفي ولم يعدها الباقون، وقوله تعالى: ﴿ وَٱلشَّيَٰطِينَ كُلَّ بَنَّآءٖ وَغَوَّاصٖ ٣٧﴾ [ص: 37]، لم يعدها البصري وعدها الباقون، وقوله تعالى: ﴿قَالَ فَٱلۡحَقُّ وَٱلۡحَقَّ أَقُولُ ٨٤﴾ [ص: 84]، عدها الكوفي وأيوب بن

(1) ـ التحرير والتنوير، طاهر بن عاشور، 201/23.

(2) ـ الإمام الزحيلي: هو وهبة بن مصطفى الزحيلي، أحد أبرز علماء أهل السنة والجماعة في العصر الحديث، من سوريا، رئيس قسم الفقه الإسلامي ومذاهبه بجامعة دمشق، من شيوخه: حسن حبنكة الميداني، حسن الخطيب، من تلاميذه: محمد الزحيلي شقيقه، محمد نعيم ياسين، من مؤلفاته: الوجيز في الفقه الإسلامي، الوجيز في أصول الفقه، توفي سنة: 1436 هـ عن عمر يناهز 83 سنة. ينظر: وهبة الزحيلي العالم الفقيه المفسر، لبديع السيد اللّحام، ص 1.

(3) ـ التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، للزحيلي، 161/23.

(4) ـ التحرير والتنوير، طاهر بن عاشور، 201/23.

المتوكل ولم يعدها الباقون ولا الجحدري وقد قيل إن الجحدري يعدّها وأيوب يسقطها وكلهم لم يعد ص[1].

ثانيًا: مكيّها

سورة ص هي سورة مكيّة بقول الجميع، وقد ذُكر في «الإتقان» أنّ الجعبري حكى قولًا بأنّها مدنية، قال السيوطي: "وهو خلاف حكاية جماعة الإجماع على أنّها مكية"[2]، وورد أيضًا هذا القول عن الداني في كتاب العدد وقال: "إنّه ليس بصحيح لأنّ فيها ذكر الآلهة"[3].

المطلب الثاني: موضوع السورة وسبب نزولها

في المطلب السابق تعرضت إلى ذكر اسم السورة وترتيبها وعدد آياتها وكيّها، وفي هذا المطلب سأذكر موضوع السورة وأسباب نزولها.

الفرع الأول: موضوع السورة

لكّل سورة موضوع ومحور عام تعالجه، وسورة ص مكيّة، هدفها نفس هدف السورة المكيّة التي تعالج أصول العقيدة الإسلامية[4].

كما أوضحت السورة هذه الأصول وهي: التوحيد والنبوة والبعث، من خلال مناقشة المشركين في عقائدهم المناقضة لتلك الأصول، وإيراد نماذج من قصص الأنبياء السابقين للعظة والعبرة.

ومن أخطر عقائد المشركين القول بتعدد الآلهة، بدليل قولهم في مطلع سورة ص ﴿أَجَعَلَ ٱلْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ ۝٥﴾[ص: 5][5].

أمّا عن المقصد العام للسورة فهو ذكر المخاصمة بالباطل وعاقبتها.

---

(1) ـ ينظر: البيان في عد آي القرآن، للداني، ص 214.

(2) ـ الإتقان في علوم قرآن، للسيوطي، 49/1.

(3) ـ البيان في عد آي القرآن، للداني، ص 214.

(4) ـ ينظر: التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم، نخبة من علماء التفسير وعلوم قرآن، ص 437.

(5) ـ ينظر: التفسير الوسيط، للزحيلي، 2194/3.

الفرع الثاني: سبب نزولها

من المعلوم أنّ من آيات القرآن ما نزل ابتداءً من غير سبب نزول، والبعض الآخر يكون نزل بسبب خاص به، فسأورد أسباب النزول الواردة في هذه السورة.

من قوله تعالى: ﴿صٓۚ وَٱلۡقُرۡءَانِ ذِي ٱلذِّكۡرِ ١ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي عِزَّةٖ وَشِقَاقٖ ٢ كَمۡ أَهۡلَكۡنَا مِن قَبۡلِهِم مِّن قَرۡنٖ فَنَادَواْ وَّلَاتَ حِينَ مَنَاصٖ ٣ وَعَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٞ مِّنۡهُمۡۖ وَقَالَ ٱلۡكَٰفِرُونَ هَٰذَا سَٰحِرٞ كَذَّابٌ ٤ أَجَعَلَ ٱلۡأٓلِهَةَ إِلَٰهٗا وَٰحِدًاۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيۡءٌ عُجَابٞ ٥ وَٱنطَلَقَ ٱلۡمَلَأُ مِنۡهُمۡ أَنِ ٱمۡشُواْ وَٱصۡبِرُواْ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمۡۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيۡءٞ يُرَادُ ٦ مَا سَمِعۡنَا بِهَٰذَا فِي ٱلۡمِلَّةِ ٱلۡأٓخِرَةِ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا ٱخۡتِلَاقٌ ٧﴾ [ص: 7].

أخرج الإمام أحمد[1] رحمه الله والنّسائي[2] رحمه الله، وغيرهم: عن ابن عبّاس رضي الله عنهما قال: مرض أبو طالب، فأتته قريش، وأتاه رسول الله ﷺ يعوده، وعند رأسه مقعد رجلٍ، فقام أبو جهل، فقعد فيه، فقالوا: إن ابن أخيك يقع في آلهتنا. وقال: ما شأنُ قومك يشكونك؟ قال: يا عم، أُريدهم على كلمة واحدة تدينُ لهم بها العرب، وتؤدي العجم إليهم الجزية قال: ما هي؟ قال: لا إله إلا الله فقاموا فقالوا: أَجعل الآلهة إلهاً واحداً؟ قال: ونزل ﴿صٓۚ وَٱلۡقُرۡءَانِ ذِي ٱلذِّكۡرِ ١﴾ فقرأ حتى بلغ: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَشَيۡءٌ عُجَابٞ ٥﴾ ولفظ الترمذي إلى قوله: ﴿مَا سَمِعۡنَا بِهَٰذَا فِي ٱلۡمِلَّةِ ٱلۡأٓخِرَةِ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا ٱخۡتِلَاقٌ ٧﴾.

هكذا جاء في سبب نزول هذه الآيات الكريمة، وقد أورد جمهور المفسرين هذا الحديث عند تفسيرها كالطبري والبغوي وابن عطية والقرطبي وابن كثير وابن عاشور رحمهم الله جميعًا.

وكما جاء في كتاب المحرر في أسباب النزول: أنّ الحديث المذكور وإن كان معتلاً سبب لنزول الآيات لما بينه وبين سياق الآيات من المطابقة التامّة، مع ما يؤيد هذا من أقوال المفسرين المتقدمين منهم والمتأخرين[3].

---

(1) ـ أخرجه أحمد في مسنده، رح: 2008، 227/1، وقد حكم عليه شعيب الأرنؤوط بأنّ إسناده ضعيف.

(2) ـ السنن الكبرى، للنسائي، باب: سورة ص، ر ح: 11372، 233/10.

(3) ـ ينظر: المحرر في أسباب النزول، خالد المزيني، 840/2.

المطلب الثالث: مناسبات السورة وفضلها

يعدّ علم المناسبات من العلوم المهمّة التي تكشف عن وجه الإعجاز في ترتيب القرآن، كذلك أنّ لكلّ سورة من سور القرآن الكريم فضل عظيم وفوائد جمة.

ومن هذا سأبيّن في هذا المطلب الترابط الموجود بين هاته السورة والتي قبلها وبعدها، أيضا فضلها وفوائدها.

الفرع الأوّل: مناسبات السورة

ويتضمّن الآتي:

أولا: المناسبة بين افتتاحية السورة وخاتمتها

"المناسبة بين مطلع سورة ص وخاتمتها واضحة جدا، ففي بداية السورة حديث عن القرآن ذي الذكر في قوله تعالى: ﴿صٓۚ وَٱلۡقُرۡءَانِ ذِي ٱلذِّكۡرِ ١﴾ [ص: 1]، وفي نهايتها تأكيد على أنّ القرآن الكريم ما هو إلا ذكر للعالمين في قوله:﴿ إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرٞ لِّلۡعَٰلَمِينَ ٨٧﴾[ص: 87]"[1].

ثانيًا: المناسبة بين افتتاحية السورة وخاتمة ما قبلها

1-متممّة لسورة الصّافات

إنّ الصلة التي بين مطلع سورة ص وخاتمة السورة التي قبلها-الصافّات-قوية وواضحة، وهي أنّ الله تعالى حكا في آخر سورة الصافات التي قبلها قول الكفار: ﴿لَوۡ أَنَّ عِندَنَا ذِكۡرٗا مِّنَ ٱلۡأَوَّلِينَ ١٦٨﴾ [ص: 168].

ثم كفروا به، ثم افتتح هذه السورة بالقسم بالقرآن ذي الذكر، لتفصيل المجمل هناك[2].

2-ذكر من بقي من الأنبياء

جاءت سورة ص بعد الصافات كطس بعد الشعراء، وكطه والأنبياء بعد مريم، وكيوسف بعد هود، في كونها متمّمة لها بذكر من بقي من الأنبياء، ممن لم يذكر فيها؛ فإنّه سبحانه ذكر في الصافات: نوحًا، وإبراهيم، والذبيح، وموسى، وهارون، ولوطًا، وإلياس، ويونس، وذكر هنا

(1) ـ التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم، نخبة من علماء التفسير وعلوم قرآن، 438/6.

(2) ـ ينظر: التفسير المنير، الزحيلي، 161/23.

داوود، وسليمان، وأيوب، وأشار إلى بقيّة من ذكر، فهي بعدها أشبه شيء بالأنبياء وطس بعد مريم والشعراء[1].

ثالثًا: إثبات العزّة بخذلان العصاة

لما نزّه ربّنا ﷻ نفسه الأقدس في ختام سورة الصافات عن كل شائبة نقص، وأثبت له كل كمال ناصّاً على العزة، وأوجب للمرسلين السلامة، افتتح هذه بالإشارة إلى دليل ذلك بخذلان من ينازع فيه فقال: ﴿صٓۚ ١﴾ [ص: 1]؛ أي إن أمرك يا من أمرناه باستفتاء العصاة آخر الصافات وبشرناه بالنصر مهيأ مع الضعف الذي أنتم به الآن.

رابعًا: ذكر أحوال الأمم الغابرة المكذّبة للرسل للعبرة

إضافة إلى ما سبق أنّه لما ذكر تعالى حال الأمم السالفة مع أنبيائهم في العتو والتكذيب، وأنّ ذلك أعقبهم الأخذ الوبيل والطويل، كان هذا مظنّة لتذكير حال مشركي العرب وبيان سوء مرتكبهم وأنهم قد سبقوا إلى ذلك الارتكاب، فحلّ بالمعاند سوء العذاب، فبسط حال هؤلاء وسوء مقالهم ليعلم أنه لا فرق بينهم وبين مكذبي الأمم السالفة في استحقاق العذاب وسوء الانقلاب، وقد وقع التصريح بذلك في قوله تعالى: ﴿كَذَّبَتۡ قَبۡلَهُمۡ قَوۡمُ نُوحٖ وَعَادٞ وَفِرۡعَوۡنُ ذُو ٱلۡأَوۡتَادِ ١٢﴾ [ص: 12]، إلى قوله: ﴿إِن كُلٌّ إِلَّا كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ فَحَقَّ عِقَابِ ١٤﴾ [ص: 14][2].

ثالثاً: المناسبة بين خاتمة السورة وافتتاحية ما بعدها

أوّلًا: الأمر بالإخلاص الذي تخلى عنه السابقون

يقول الإمام البِقاعي (885 هـ) رحمه الله: "لما بُنيت سورة ص على ذكر المشركين وعنادهم وسوء ارتكابهم واتخاذهم الأنداد والشركاء، ناسب ذلك ما افتتحت به سورة الزمر من الأمر بالإخلاص الذي هو نقيض حال من تقدم"[3].

---

(1) ـ ينظر: أسرار ترتيب القرآن، السيوطي، ص: 127.

(2) ـ ينظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، البقاعي، 324/16، البرهان في تناسب سور القرآن، أحمد الغرناطي، ص 289.

(3) ـ البرهان في تناسب سور القرآن، أحمد الغرناطي، 413/6.

ثانيًا: بيان أنّ الذكر تنزيل

أيضًا "لا يخفى وجه الاتصال بين آخر سورة ص وبداية ما قبلها، حيث قال جل شأنه في آخر ص: ﴿إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرٞ لِّلۡعَٰلَمِينَ ٨٧﴾ [ص: 87]، ثم قال في أوّل سورة الزمر:﴿تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَكِيمِ ١﴾ [الزمر: 1]، فكأنّه قيل هذا ذكر من التنزيل، وهذا تلاؤم شديد، بحيث أنّه لو أسقطت البسملة للتأمت الآيتان كالآية الواحدة"[1].

ثالثًا: ذكر قصة آدم وبيان مآل الخلق

وقد ذكر الله تعالى في آخر ص قصة خلق آدمعليه السلام، وذكر في صدر هذه قصة خلق زوجه منه، وخلق الناس كلهم منه، وذكر خلقهم في بطون أمهاتهم خلقًا من بعد خلق، ثم ذكر أنهم ميتون، ثم ذكر الوفاة والنوم والموت، ثم ذكر القيامة، والحساب، والجزاء، والنار، والجنة، فذِكر خلق آدم في سورة ص متصلًا بأحوال الخلق من المبدأ إلى المعاد المذكور في السورة التي بعدها[2].

الفرع الثاني: فضلها

جاء في فضلها ما روي عن أبي جعفر قال: من قرأ سورة ص في ليلة الجمعة أعطي من خير الدنيا والآخرة ما لم يعط أحد من الناس إلا نبي مرسل أو ملك مقرب، وأدخله اللّه الجنة، وكل من أحب من أهل بيته، حتى خادمه الذي يخدمه وإن لم يكن في حد عياله، ولا في حد من يشفع فيه.[3]

كذلك ما روي عن النبي ﷺ أنّه قال: من قرأ هذه السورة كان له من الأجر وزن كل جبل سخره اللّه لداوود عشر مرات، وعصمه اللّه أن يصرّ على ذنب صغير أو كبير[4].

(1) ـ التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم، نخبة من علماء التفسير وعلوم قرآن، 474.

(2) ـ ينظر: أسرار ترتيب القرآن، ص 128.

(3) ـ ثواب الأعمال، أبي جعفر القمي، ص 141.

(4) ـ مجمع البيان في تفسير القرآن، الفضل الطبرسي، 340/8.

وقال رسول اللّه ﷺ : من كتبها تحت قاض، أو وال لم يقف الأمر بيده أكثر من ثلاثة أيام، وظهرت للناس عيوبه، وتفرق الناس من حوله[1].

وبعد البحث لم أعثر على حديث صحيح وارد في فضل هذه السورة.

المطلب الرابع: محتويات السورة وأغراضها

إنّ الوقوف على أغراض السور وما تحتوي عليه من موضوعات، من أعظم ما يعين على فهم مقاصد السور، في هذا المطلب سأقوم بعرض محتويات السورة وبيان أغراضها.

الفرع الأول: محتويات السورة

أوّلًا: بيان عاقبة الماضين

ابتدأت السورة بالوصف الناقد لصفات المشركين من الكبرياء وإباء الحق والإعراض عنه، مع تذكيرهم بعاقبة الماضين الذين حادوا عن الحق، فهلكوا، مثل قوم نوح وعاد وفرعون وثمود وقوم لوط وأصحاب الأيكة.

ثانيًا: التعرض لصفات الكافرين

ولعلّ من أبرز تلك الصفات: إنكار الوحدانية، وإنكار نبوّة محمد ﷺ، وإنكار البعث والحساب.

رابعًا: عرض قصص الأنبياء

ذكرت قصص داوود وسليمان وأيوب عليهم السلام مفصّلة، وإبراهيم وإسحاق ويعقوب وإسماعيل واليسع وذي الكفل مجملة عليهم السلام.

خامسًا: إثبات البعث ووصف الدارين

وبعد ذلك انتقل البيان إلى الغاية الكبرى وهي إثبات البعث والحساب ووصف نعيم أهل الجنّة وعذاب أهل النّار.

سادسًا: بيان قصة بدء الخلق

(1) ـ البرهان في تفسير القرآن، السيد هاشم البحراني، 462/6. الحكم على الأحاديث: بعد البحث لم أتوصل إلى الحكم على هاته الأحاديث من خلال –المصادر المطلع عليها–.

ثم ومن ذلك توجهت السورة بقصّة بدء الخلق قصة آدم عليه السلام وسجود الملائكة له إلّا إبليس، وطرده من الجنة، وصبّ اللّعنة عليه إلى يوم القيامة، وتوعّده وأتباعه بملء جهنّم منهم.

وختمت السورة ببيان إخلاص النبيّ ﷺ في تبليغ رسالته دون طلب أجر، مما يدلّ على نبوّته، وأردفه تعالى بإعلان كون القرآن رسالة للثّقلين: الإنس والجن، وأنّ المشركين بعد موتهم يعلمون حقيقة أمره[1].

الفرع الثاني: أغراض السورة

يقول الإمام بن عاشور (1393 هـ) رحمه الله :

–"أصلها ما عَلِمتَ من حديث الترمذي في سبب نزولها، وما اتصل به من توبيخ المشركين على تكذيبهم الرسول ﷺ وتكبرهم عن قبول ما أرسل به، وتهديدُهم بمثل ما حلّ بالأمم المكذّبة قبلهم وأنهم إنما كذبوه لأنه جاء بتوحيد الله تعالى ولأنه اختص بالرسالة من دونهم.

–تسليةُ الرسول ﷺ عن تكذيبهم وأن يقتدي بالرسل من قبله داوود وأيوبَ وغيرهم وما جُوزوا عن صبرهم، واستطراد الثناء على داوود وسليمان وأيوب عليهم السلام، وأتبع ذكر أنبياء آخرين"[2].

–إثباتُ البعث لحكمة جزاء العاملين بأعمالهم من خير أو شر، وجزاء المؤمنين المتقين وضده من جزاء الطاغين والذين أضلُّوهم وقبّحوا لهم الإسلام والمسلمين، ووصف أحوالهم يوم القيامة.

–ذكر أوّل غواية حصلت وأصل كل ضلالة وهي غواية الشيطان في قصة السجود لآدم عليه السلام.

–جاءت فاتحتها مناسبة لجميع أغراضها إذ ابتدأت بالقَسم بالقرآن الذي كذّب به المشركون، وجاء المقسم عليه أن الذين كفروا في عزّة وشقاق وكل ما ذكر فيها من أحوال

(1) ـ التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، الزحيلي، 162/23.

(2) ـ التحرير والتنوير، ابن عاشور، 202/23.

المكذبين سببه اعتزازهم وشقاقهم ومن أحوال المؤمنين سببه ضد ذلك، مع ما في الافتتاح بالقسم من التشويق إلى ما بعده فكانت فاتحتها مستكملة خصائص حسن الابتداء[1].

–ص أحد حروف الهجاء العربية، افتتح بها هذه السورة كغيرها من السور للتحدّي والتّنبيه على إعجاز القرآن، وتنبيه المخاطب للإصغاء إلى الكلام الآتي بعده[2].

–توجيه النبيّ ﷺ إلى الصبر على ما يلقاه من المكذبين، والتطلع إلى فضل الله ورعايته كما تمثلهما قصة داوود وقصة سليمان.

– تصوير النّعيم الذي ينتظر المتقين والجحيم التي تنتظر المكذبين، والكشف عن استقرار القيم الحقيقية في الآخرة بين هؤلاء وهؤلاء.

– الرد الذي هو في ثنايا القصص بلفتة تلمس القلب البشري وتوقظه إلى الحق الكامن في بناء السماء والأرض، وأنّه الحق الذي يريد الله بإرسال الرسل أن يقرَّه بين الناس في الأرض وهي لفتة لها في القرآن نظائر، وهي أيضا حقيقة أصيلة من حقائق هذه العقيدة التي هي مادة القرآن المكي.

–تصوير ابتلاء الله للمخلصين من عباده بالضراء، وصبر أيوب عليه السلام مثَل في الصبر.

–التوجيه إلى ما وراء الابتلاء من رحمة، تفيض من خزائن الله عند ما يشاء.

– بيان أنّ الذي أردى إبليس، وذهب به إلى الطرد واللعنة، كان هو حسده لآدم عليه السلام واستكثاره أن يؤثره الله عليه ويصطفيه.

–تَعرِض على القلب البشري صفحة الهزيمة والدّمار والهلاك للطغاة المكذبين، ثم تعرض بإزائها صفحة العزّ والتمكين والرحمة والرعاية لعباد الله المختارين، في قصص داوود وسليمان وأيوب[3].

(1) ـ التحرير والتنوير، ابن عاشور، 203/23.

(2) ـ التفسير النير في العقيدة والشريعة والمنهج، 166/23.

(3) ـ ينظر: في ظلال القرآن، السيد قطب، 3005/5.

بعد دراستي لهذه السورة من نواحي عديدة، تبيّن لي أنّها سورة مكيّة جاءت لتقرّر أصول العقيدة؛ التوحيد والنبوّة والبعث، وتبعث على إثبات ورسوخ الأخلاق الحميدة كالصّبر وغيره، والاقتداء بالأنبياء والرّسل، كذلك أخذ العظات والعبر منهم.

المبحث الثالث: أهم المقاصد في السورة

ويحتوي على:

المطلب الأوّل: تقريع الكافرين وبيان عجزهم

المطلب الثاني: تذكير المكذّبين بالعذاب وإثبات الحساب

المطلب الثالث: بيان فضل المؤمنين على الكافرين

المطلب الرابع: إعراض الكفّار عن القرآن

المطلب الخامس: مخاصمة الأقوام لأنبيائهم

(داوود، سليمان، أيوب، إبراهيم، آدم)

المطلب السادس: تصوير عقاب الطّاغين

المبحث الثالث: أهمّ المقاصد في السورة

ممّا لا يخفى أنّ لكلّ سورة من سور القرآن الكريم مقاصدها الخاصّة ومدلولاتها الجليّة، ومن هذه السور –سورة ص–التي تحمل في ثناياها العديد من القصص وتُعالج موضوعات العقيدة.

فالدّراسة في هذا المبحث تكون بالوقوف على أهمّ المقاصد التي تحتضنها هذه السورة الكريمة، ولقد اعتمدتُ في تقسيم مواضيعها على تقسيم الشيخ مصطفى مسلم، من خلال كتابه (التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم)، وسأوضّح هذه المقاصد من خلال هذا المبحث بإذن الله تعالى.

كذلك فإنّ من الواجب على من يدرس الدّراسات الموضوعية التحلّي بخطواتها، وفي هذا المبحث اتّبعت هذه الخطوات سوى ذكر سبب النّزول، لأنّ هذه السورة لم تحتوِ على سبب النّزول إلّا للآيات الأولى منها وقد ذكرت سبب نزولها سابقًا[1].

المطلب الأوّل: تقريع الكافرين وبيان عجزهم [الآيات من: 01–11]

من المعلوم أن أوّل ما نزل من القرآن الكريم على نبيّ الله محمّد ﷺ، كان النّاس منه على طرفي نقيض منهم من صدقه و منهم من كذب به وكان له موقف جحود وكفر، وعجب أيضًا، لذلك تطلبت الدراسة في هذا المطلب بيان موقفهم أي الكافرين من كتاب الله ومن الإسلام بحدّ ذاته.

قال تعالى: ﴿صٓ وَٱلۡقُرۡءَانِ ذِي ٱلذِّكۡرِ ۝١ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي عِزَّةٖ وَشِقَاقٖ ۝٢ كَمۡ أَهۡلَكۡنَا مِن قَبۡلِهِم مِّن قَرۡنٖ فَنَادَواْ وَّلَاتَ حِينَ مَنَاصٖ ۝٣ وَعَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٞ مِّنۡهُمۡۖ وَقَالَ ٱلۡكَٰفِرُونَ هَٰذَا سَٰحِرٞ كَذَّابٌ ۝٤ أَجَعَلَ ٱلۡأٓلِهَةَ إِلَٰهٗا وَٰحِدًاۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيۡءٌ عُجَابٞ ۝٥ وَٱنطَلَقَ ٱلۡمَلَأُ مِنۡهُمۡ أَنِ ٱمۡشُواْ وَٱصۡبِرُواْ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمۡۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيۡءٞ يُرَادُ ۝٦ مَا سَمِعۡنَا بِهَٰذَا فِي ٱلۡمِلَّةِ ٱلۡأٓخِرَةِ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا ٱخۡتِلَاقٌ ۝٧ أَءُنزِلَ عَلَيۡهِ ٱلذِّكۡرُ مِنۢ بَيۡنِنَاۚ بَلۡ هُمۡ فِي شَكّٖ مِّن ذِكۡرِيۚ بَل لَّمَّا يَذُوقُواْ عَذَابِ ۝٨ أَمۡ عِندَهُمۡ خَزَآئِنُ رَحۡمَةِ رَبِّكَ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡوَهَّابِ ۝٩ أَمۡ لَهُم مُّلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَاۖ فَلۡيَرۡتَقُواْ فِي ٱلۡأَسۡبَٰبِ ۝١٠ جُندٞ مَّا هُنَالِكَ مَهۡزُومٞ مِّنَ ٱلۡأَحۡزَابِ ۝١١﴾ [ص: 01-11]

(1) ـ ينظر: ذكرت سبب نزول الآيات الأولى (المقطع الأوّل) في ص30.

الفرع الأوّل: علاقة الآيات بمحور السورة ومناسبتها لما بعدها

أوّلًا: علاقة الآيات بالمحور العام للسورة

تعرّضت هذه الآيات لقضية الوقوع في الخطأ وعواقبه، فقد عَجِب الكفّار من دعوة التّوحيد التي جاءت على لسان رسول الله ﷺ، بل عُجبهم الأكبر كان في أن يأتيهم رسول منهم هو ليس من ساداتهم ولا كبرائهم، مع أنّهم يعرفون صدقه وأمانته وسيرته العطرة وذاع صيته بذلك و رغم ذلك كذّبوا به.

ثم تعدّد عُجبهم إلى أمور كثيرة؛ كأن يدعوهم إلى عبادة الله وحده الذي عنده خزائن الرّحمة والعزّة، أيضًا معرفتهم بالرّسل التي بعثت قبله و أنكروا عليه ذلك، وبعد كلّ هذا يريدون أن يحكموا على الله تعالى فيمن يختار ليَهَبَه رسالته، ورحمته وعزة توحيده، والإيمان به والدعوة إليه، فقالوا:﴿أَءُنزِلَ عَلَيۡهِ ٱلذِّكۡرُ مِنۢ بَيۡنِنَا﴾ [ص:8]، فكانت الإجابة:﴿أَمۡ عِندَهُمۡ خَزَآئِنُ رَحۡمَةِ رَبِّكَ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡوَهَّابِ﴾ [ص: 9]، كذلك علمهم بعقوبة من سبقهم من الأمم المكذّبة لرسلها، وهم بالرغم من ذلك يكذّبون رسول الله ﷺ[1].

فكان عجبهم من هذه الأشياء كلّها منافيًا للتّوحيد والنبوّة، الذي قامت السورة على معالجته في ثناياها.

ثانيًا: مناسبة الآيات لما بعدها

لما ذكر سبحانه في هذه الآيات توابي الكفّار وتكاسلهم عن النّظر والاستدلال، لأنّهم لم ينزّل بهم العذاب، أعطى في الآيات التي جاءت بعدها نماذج من أقوام الأنبياء الماضين، وكيف أنّهم كانوا مكذّبين حتى حاق بهم ما كانوا به يستهزئون، وفي هذا أيضًا تخويف لأولئك الكافرين المكذّبين.

كذلك بعدما عرض سبحانه تعجّب القوم لشبهاتٍ تتعلّق بالتّوحيد، والنّبوات، والمعاد، وأنّهم كانوا ساخرين ومتهكّمين حين سمعوا بالمعاد، وأنّ هناك دارًا أخرى يحاسبون فيها،

(1) ـ ينظر: التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، وهبة الزحيلي، 167/23.

ويجازون على ما يعملون، أمر فيما بعدها رسوله بالصّبر على أذى المشركين، وعلى ما يقولون في شأنه من أنّه شاعر، وأنّه مفتر كذّاب[1].

الفرع الثاني: المعنى الإجمالي للآيات

اختلف المفسّرون في الحروف المقطعة التي في أوائل السور فمنهم من قال: هي ممّا استأثر الله بعلمه، فردّوا علمها إلى الله ولم يفسّروها، وهذا ما حكاه الإمام القرطبي(671هـ) رحمه الله[2] قائلًا:" اختلف أهل التأويل في الحروف التي في أوائل السور، فقال عامر الشعبي وسفيان الثوري وجماعة من المحدثين: هي سرّ الله في القرآن، ولله في كلّ كتاب من كتبه سرّ، فهي من المتشابه الذي انفرد الله تعالى بعلمه، ولا يجب أن يتكلّم فيها، ولكن نؤمن بها ونقرأ كما جاءت، ورُوي هذا القول عن أبي بكر وعمر وعثمان وعلي وابن مسعود –رضي الله عنهم أجمعين–"[3].

وقال الإمام محمد الأمين العلوي[4] رحمه الله: "إنّ هذه حروف يراد بها تنبيه المخاطب، للإصغاء إلى ما يراد بعده من الكلام لأهمّيته، نحو: ألا ويا، وينطق بأسمائها فيقال: صاد بالسكون"[5].

وقد اُختلِف أيضًا في معنى (صاد) على آراء عدّة، فقيل أنّ معناها صدق الله، وقيل صدق محمدﷺ، وقيل أنّها مما استأثر الله بعلمه وهو الراجح، ولقد أقسم تعالى بالقرآن للتّنبيه على

(1) ـ ينظر: حدائق الروح والريحان، محمد الأمين العلوي، 308/24.

(2) ـ الإمام القرطبي: هو أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري القرطبي، العالم الإمام الجليل الفقيه المفسر المحصل المحدث المتفنن، من شيوخه: أبي العباس القرطبي وغيره، من مؤلفاته: الجامع لأحكام القرآن، توفي في شوال سنة 671هـ. ينظر: شجرة النور الزكية، لمحمد بن سالم مخلوف، 282/1.

(3) ـ الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، 154/1.

(4) ـ الإمام محمد العلوي: هو محمد الأمين بن عبد الله بن يوسف بن حسن أبو ياسين الأرمي العلوي الهرري، إمام في الفقه والنحو، من شيوخه: محمد بن موسى الأديلي، إبراهيم بن ياسين الماجتي، قرأ عليه خلق كثير، من مؤلفاته: حدائق الروح والريحان، سلم المعراج على خطبة المنهاج للإمام النووي، بعد البحث لم أعثر على تاريخ وفاته، ينظر: مقدمة كتاب حدائق الروح والريحان.

(5) ـ تفسير حدائق الروح والريحان، محمد أمين علوي، 309/24، وصفوة التفاسير، للصابوني، 45/3، والتسهيل لعلوم التنزيل، لابن جزي، 68/1.

شرف قدره، وعلو منزلته، وإنّ في هذا القرآن لذكرى لمن يتذكر، وعبرة لمن يعتبر، ولكن لم ينتفع به الكافرون لأنّهم في استكبار عنه وحمية، ومخالفة له، ومعاندة[1].

وبيّن تعالى في هذه الآيات أنّه أهلك أممًا كثيرة لكفرهم وتكذيبهم للرّسل، فحذّرهم من تكذيب النّبي محمد ﷺ والكفر بما جاء به، لئلّا تكون عاقبتهم كعاقبة من قبلهم.

كذلك أنّ عجب كفّار قريش كان من أجل أن جاءهم رسول منذر منهم، فأنكر عليهم تعالى هذا الفعل وأوضح سببه وردّه عليهم في آيات عديدة[2]، ولم يكن إنكارهم بسبب جهل محمدﷺ، أو في صدق قوله وسلامة عقله، وإنّما حملهم على ذلك هو شكّهم في القرآن وما ينزل به من الحقّ ويدعو إليه من الهدى، وهذا لأنّهم لم يذوقوا عذاب الله ولو ذاقوه ما كذّبوا، وسوف يذوقونه ولكن لا ينفعهم يومئذ تصديق ولا إيمان.

ثم نفى سبحانه ملكهم لخزائن رحمته فهو الغالب الوهاب، أي كثير العطاء من النّبوة وغيرها، فلو كانت عندهم الخزائن فلهم أن يعطوا من شاءوا ويمنعوا من شاءوا ولكن لا يملكون، إذًا فلم ينكرون هبة الله لمحمدﷺ بالنّبوة والوحي والرسالة، ثم قال سبحانه: ﴿أَمْ لَهُم مُّلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾؟ إذا كان هذا لهم فليرتقوا حتى ينتهوا إلى السماء السابعة ويمنعوا الوحي النّازل على محمد ﷺ من ربّه ﷻ، وأنّى لهم ذلك وهم الضّعفاء من جملة أحزاب الباطل والشّر المهزومون لا محالة[3].

الفرع الثالث: مقاصد الآيات الكريمات

بعد دراستي لهذا المقطع توصّلت إلى أنّ هذه الآيات جاءت لتدلّ على حفظ كليّة من الكليّات الخمس وهي حفظ الدين، وقد حوت داخلها مقاصد جليلة أذكر منها:

- تقبيح المماراة في الحقّ والتعمّد في المعارضة إتّباعًا للهوى، وتقبيح التمسّك بالتقاليد الموروثة الغير صائبة.
- إيجاب مقابلة كلّ فكرة أو دعوة جديدة بالتدبّر والتروّي.

(1) ـ ينظر: تفسير حدائق الروح والريحان، محمد الأمين العلوي، 310/24.

(2) ـ ينظر: أضواء البيان، للشنقيطي، 330/6.

(3) ـ ينظر: أيسر التفاسير، لأبي بكر الجزائري، 436/4.

- إتّباع ما يكون فيه حقّ وخير وصلاح مهما كان مغايرًا للقديم[1].
- جاء القَسم هنا للتّحدّي بإعجاز القرآن وبيان عجز الكفّار عن معارضته، وبيان صدق النبيّ وكذب الكفّار وقبح موقفهم.
- تصدّي القرآن للردّ على شبهة إنزال القرآن على النبيّ ﷺ خصوصًا[2].
- جاءت الآيات مقرّرة لإخبار القرآن الكريم بالغيب وصدقه في ذلك.
- بيان ما كان عليه المشركون من كبر وعداء للنبيّ ﷺ.
- بيان أنّ القرآن مقرّ التذكّر، وعدم إصغاء المشركين له كان من تعزّزهم.

الفرع الرابع: إسقاط الآيات على الواقع

تبيّن لي أنّ هذه الآيات الكريمة تحدّثت على عُجب الكفّار من رسالة الإسلام وخوفهم منه، وهذا ما نراه في واقعنا الحالي، فقد كثر الكلام عن انتشار هذه الظاهرة.

إنّ أعداء الإسلام الذين لم يدخلوا في دين الله ﷻ، ولم يستسلموا لشرعه، ولم يذعنوا لحكمه، يتهافتون على الدّنيا، ويحرصون على ما بأيديهم من متعها، ويجزعون إذا فاتهم شيء ممّا يؤملون، وهم يرون الإسلام عائقًا يصدّهم عن كلّ ذلك، فيخافون من انتشار دعوته، ويحذرونه حذرًا شديدًا، ويخافون إذا حكمهم الإسلام وهم على كفرهم ونفاقهم، أن يمنعهم من المحرّمات التي اعتادوا اقترافها.

قال السيّد قطب(1385هـ)[3] رحمه الله في قوله تعالى: ﴿وَلَئِنْ أَتَيْتَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ بِكُلِّ ءَايَةٍ مَّا تَبِعُواْ قِبْلَتَكَ﴾ [البقرة: 145]، "فهم في عناد يقوده الهوى، وتؤرثه المصلحة، ويحدوه الغرض، وإن كثيرا من طيبي القلوب ليظنّون أنّ الذي يصدّ اليهود والنصارى عن الإسلام أنهم لا يعرفونه، أو لأنه لم يقدم لهم في صورة مقنعة، وهذا وهم، إنّهم لا يريدون الإسلام لأنّهم

(1) ـ التفسير الحديث، دروزة محمد عزت، 301/2.

(2) ـ التفسير الواضح، محمد محمود حجازي، 232/3.

(3) ـ السيد قطب: هوسيد قطب بن إبراهيم، مفكر إسلامي مصري، انضم إلى الإخوان المسلمين، فترأس قسم نشر الدعوة وتولى تحرير جريدتهم، وسجن معهم إلى أن صدر الأمر بإعدامه، فأعدم، ثنى عليه الكثير من العلماء، من مؤلفاته: في ظلال القرآن، معالم في الطريق، توفي سنة 1385هـ. ينظر: الأعلام، للزركلي، 147/3.

يعرفون، يعرفونه ويخشونه على مصالحهم وعلى سلطانهم؛ ومن ثم يكيدون له ذلك الكيد النّاصب الذي لا يفتر، بشتّى الطرق وشتّى الوسائل"[1].

فنحن بعد هذا ملزمون بتبليغ الدّين الإسلامي، على أرض الواقع المعاش، وبيان قدره وسماحته.

المطلب الثاني: تذكير المكذّبين بالعذاب وإثبات الحساب [الآيات من: 12-16]

لما كذّب الكفّار بالقرآن وبرسالة الإسلام، ما كان من الله تعالى إلّا أن يذكّرهم بما عاقب به الكافرين من قبلهم، وعلى هذا تكون الدراسة في هذا المطلب.

قال تعالى: ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو ٱلْأَوْتَادِ ﴿١٢﴾ وَثَمُودُ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَٰبُ لْـَٔيْكَةِ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلْأَحْزَابُ ﴿١٣﴾ إِن كُلٌّ إِلَّا كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ فَحَقَّ عِقَابِ ﴿١٤﴾ وَمَا يَنظُرُ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً مَّا لَهَا مِن فَوَاقٍ ﴿١٥﴾ وَقَالُواْ رَبَّنَا عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا قَبْلَ يَوْمِ ٱلْحِسَابِ ﴿١٦﴾﴾ [ص: 12-16]

الفرع الأوّل: علاقة الآيات بمحور السورة ومناسبتها لما بعدها

أوّلًا: علاقة الآيات بالمحور العام للسورة

جاءت الآيات متّصلة بالسّياق اتّصال تعقيب وتذكير وإنذار كما هو واضح؛ حيث ذكرت بعض الأقوام الذين أشارت الآيات السابقة إشارة خاطفة إليهم، وكيف أنّ الله أهلكهم دون أن يجدوا مغيثًا ولا مهربًا، وقرّرت بأنّ كلّ من كذّب في السابق استحقّ عذاب الله، وأنّ مكذّبي النّبي ﷺ لن يلبثوا حتى تأخذهم الصّيحة التي لا فواق لهم بعدها ولا رجوع.

أمّا الآية الأخيرة فقد حكت قولًا ساخرًا من أقوالهم، فيه استخفاف وتحدّ، جوابًا على ما ينذرهم النّبي ﷺ من العذاب، فطلبوا من الله أن يعجّل بعذابهم في الدّنيا قبل الآخرة، وهذه صورة جديدة من مواقفهم تكررت منهم، وتكررت حكايتها عنهم في القرآن الكريم[2].

(1) ـ في ظلال القرآن، للسيد قطب، 134/1.

(2) ـ ينظر: التفسير الحديث، دروزة محمد عزت، 302/2.

ثانيًا: مناسبة الآيات لما بعدها

بعدما عرض ﷻ على رسوله قصص بعض الأقوام الخالية، وما نالوه من العقاب لتكذيبهم الرسل، واستخفافهم بالرسالة، أمر تعالى رسوله ﷺ في الآيات التي بعدها بالصّبر على أذى المشركين، بذكر قصص بعض الأنبياء الذين حدث لهم من المشاقّ والأذى كما حدث له، فصبروا حتى فرّج الله تعالى عنهم وأحسن عاقبتهم، وكان هذا ترغيبًا منه تعالى لنبيّه ﷺ في الصّبر وإيذانًا له ببلوغه ما يريد، كما كان ذلك عاقبة من قبله.

ثمّ مدح الله داود عليه السلام وأثنى عليه وذكر نبأ عجيب من أنبائه مشوّقًا إليه السامع، حاكيًا قصّة الخصم.

وبعد ذلك أردف سبحانه الآيات ببيان تفويضه سيدنا داود عليه السلام خلافة الأرض، ووصيّته له بالحكم بين النّاس بالعدل[1].

الفرع الثاني: المعنى الإجمالي للآيات

أخبر الله تعالى في هذه الآيات عن أقوام من القرون الماضية، وما حلّ بهم من العذاب والنّكال والنّقمات عند مخالفة الرسل، وتكذيب الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، وقد تقدّمت قصصهم مبسوطة في أماكن متعددة في القرآن الكريم، وبين سبحانه أنهم كانوا الأكثر والأشدّ قوة وأكثر أموالًا وأولادًا، فما دفع ذلك عنهم من عذاب الله من شيء لما جاء أمره، وكانت علّة إهلاكهم هو تكذيبهم بالرسل فحذّر الله من ذلك أشدّ الحذر.[2]

ومعنى ذلك كلّه أنّ كفّار قريش كذّبوا كما كذّب أمم كثيرون من قبلهم، كقوم نوح وقوم هود وعاد وفرعون الجبّار، فجاءت مناسبة ذكرهم في هذا المقام للعبرة ولبيان أنّهم هم الكفّار الذين تحزّبوا على رسلهم فاستُحقّوا إهلاك الله لهم[3].

والمتبادر من الآيات أنّها تحوي تهديدًا للمكذّبين، ثم بعد ذلك حكى القرآن الكريم حالة استخفافهم بالبعث والجزاء وتكذيبهم لذلك، وتكذيبهم بوعيد القرآن إيّاهم، فلمّا هدّدهم القرآن بعذاب الله أظهروا عدم اكتراثهم له، ولقد كان هذا الاستخفاف منهم لأنّهم لا يؤمنون

---

(1) ـ ينظر: حدائق الروح والريحان، محمد الأمين العلوي، 308/24.

(2) ـ ينظر: تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، 48/7.

(3) ـ ينظر: صفوة التفاسير، للصابوني، 43/3.

بالبعث، فبيّنوا أنّهم لا يصدّقون النّبي ﷺ في كلّ وعيد، فجاء قولهم هذا على وجه الاستهزاء وحُكِي عنهم هنا إظهارًا لتصلّبهم في الكفر[1].

الفرع الثالث: مقاصد الآيات الكريمات

بعد دراستي لهذا المقطع توصّلت إلى أنّ هذه الآيات أيضًا جاءت تبيّن وتأكّد وجوب حفظ هذا الدّين العظيم وتبيّن عاقبة من أهمله، وضمّت في ثناياها مقاصد جليّة أذكر منها:

- تسلية قلب النّبي ﷺ ووعد له بالنّصر، ويظهر ذلك بالوعيد على مكذّبيه؛ بأنّهم صائرون إلى ما صارت إليه الأحزاب السابقة.
- إثبات ألوهية الله ﷻ ببيان قدرته تعالى، وأن ليس لمخلوق مهما علا شأنه أن يتجبّر ويتكبّر عليه سبحانه.
- تهديد وتخويف مشركي قريش بعذاب كعذاب من قبلهم لاتّحادهم في الفعل.
- بيان استهزاء المشركين واستخفافهم بشرائع الله تعالى.

الفرع الرابع: إسقاط الآيات على الواقع

جرت سنّة الله ﷻ في عباده أن يعاملهم بحسب أعمالهم، فإذا اتّقى النّاس ربّهم وأطاعوه ونفّذوا أوامره وأقاموا شريعته، جاءهم الخير من كلّ مكان، وإذا تمرّد العباد على شرع الله وضيّعوا أوامره، كان مصيرهم العذاب والنّكال من الله تعالى.

فإنّ النّاظر في أحوال هذه الأمّة اليوم؛ يجد أموراً عجيبة منكرة، ذلك أنَّ الانحراف فيها متذبذب بين الارتفاع والانخفاض، وذلك بحسب بعدها أو قربها من الالتزام بهذا الدّين العظيم، وإنّ فساد قلوب النّاس وعقائدهم وأعمالهم؛ يوقع في الأرض الفساد.

وها نحن اليوم نبحث عن السبب الذي أوصلنا إلى ما نحن فيه من ضروب الذلّة، وكلّه راجع إلى الذّنوب والمعاصي التي كسبتها أيدي النّاس.

وفي واقعنا الحالي نرى صور مختلفة من انقلاب الظواهر الكونية، وهذا كلّه بسبب إكثار الفساد في الأرض.

وجاء القرآن يقصّ علينا أحوال الأمم الغابرة، لنقرأ سيرهم فنحذر ممّا أحلّ بهم من

(1) ـ ينظر: التحرير والتنوير، طاهر بن عاشور، 224/23.

العذاب، ولكي نرى ما ينتظر الأمم التي تقع في أمثال هذه المعاصي والآثام.

المطلب الثالث: بيان فضل المؤمنين على الكافرين

[الآيات من: 27-29]

خلق الله سبحانه وتعالى هذا الكون العظيم بكلّ ما فيه من جماد وعباد وغيرها، وأنزل هذا القرآن لحِكَم جليلة وعظيمة، تدعو الإنسان إلى التدبّر والتفكّر فيها، وسأُدلي بهذه الحكم في هذا المطلب.

قال تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَٰطِلًا ۚ ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنَ ٱلنَّارِ ﴿٢٧﴾ أَمْ نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلْمُفْسِدِينَ فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ ٱلْمُتَّقِينَ كَٱلْفُجَّارِ ﴿٢٨﴾ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٩﴾ ﴾ [ص: 27-29]

الفرع الأوّل: علاقة الآيات بمحور السورة ومناسبتها لما بعدها

أوّلًا: علاقة الآيات بالمحور العام للسورة

إنّ الكون مخلوق من مخلوقات الله تعالى ويتّصف بأعلى درجات الإتقان والجمال، وهو نعمة إلهية، وغايته هي تمكين الإنسان من التفاعل معه وفق منهج الله؛ من فعل الخير وتحقيق الفلاح في الدّنيا والآخرة.

وقد سخّر الله لخلقه ما في السماوات وما في الأرض؛ من شمس وقمر وليل ونهار وحيوانات ونباتات ومعادن...، ليستعينوا بها على طاعته، وعلّمهم وهداهم للانتفاع بهذه الأشياء، وقد أعطى هذه النّعم كلّها ليُسلّم له.

وأنزل الله القرآن الكريم حتى يقيم الحجّة على خلقه به، وإنّ أعظم قضيّة في هذه الحجّة هي توحيد الخالق ﷻ، فإنّ الكتاب ما أنزل، والرّسل ما أرسلت؛ إلا لتحقيق هذه الغاية العظمى، والتي كان للقرآن أثر في تقريرها بشكل واضح حتى لم يبق بعد ذلك عذر لمعتذر، كذلك أنزله الله تعالى ليكون مناراً للعلم ومنبعاً للحكمة، يقصده النّاس فيجدوا فيه كلّ ما ينفعهم، من أمور معاشهم ومعادهم ودينهم ودنياهم.

ثانيًا: مناسبة الآيات لما بعدها

تحدّثت هذه الآيات الكريمات على أنّ الله سبحانه خلق الخلق لهدف معيّن، ثم بيّن فيها عدم مساواته في الحساب بين المؤمنين والكافرين، ومن ثم بدأ الحديث عن فضل القرآن الكريم، وكيف أنّه كثير المنافع الدّينية والدّنيوية.

وبعد ما أنهى تعالى حديثه عن الخلق والقرآن، أردف حديثه بسرد قصّة سليمان عليه السلام، وعدّد فيها النّعم التي أنعم بها عليه كما أنعم على أبيه داوود عليه السلام من قبل، ليشكره المحسنون، ويتّعظ المسيئون الذين يرون في قصتي داود وسليمان عليهم السلام عظة وعبرة، فإنّهما مَلكا مُلكًا عظيمًا، وبالرغم من ذلك لم يحجبهما عن شكر الله، وعبادته وطاعته، وتقدير نعمه الكثيرة[1].

الفرع الثاني: المعنى الإجمالي للآيات

نفى الله تعالى في هذه الآيات ما يظنّه المشركون؛ وهو أنّ خلق الكون لم يكن لحكمة اقتضت خلقه وإيجاده، وهي أن يعبد الله تعالى بذكره وشكره المتمثّل في الإيمان والتّقوى.

وأكّد سبحانه أنّه خلق هذا الكون خلقًا مشتملًا على الحكم الباهرة، وعلى المصالح الجمّة والأسرار البليغة، والمنافع التي لا يحصيها العدّ، والهيئات والكيفيات التي تهدي من يتفكّر فيها إلى إتّباع الحقّ والرّشاد [2].

ثم توعّد تعالى المشركين على كفرهم وظنّهم الخاطئ الذي نتج عنه عصيانهم بوادٍ في جهنّم بعيد الغور[3].

ثم بيّن تعالى أنّه من عدله وحكمته لا يساوي بين المؤمن والكافر في الجزاء، ومن ذلك جعل دارًا أخرى يثاب فيها هذا المطيع ويعاقب فيها العاصي، وهذا من حكمة الحكيم العليم العادل الذي لا يظلم مثقال ذرة من إنصاف هذا من هذا، ولما كان القرآن يرشد إلى المقاصد الصحيحة والمآخذ العقلية الصريحة، جعل التدبّر فيه من صفات العقول السليمة[4].

---

(1) ـ ينظر: التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، وهبة الزحيلي، 193/23.

(2) ـ ينظر: التفسير الوسيط، للطنطاوي، 155/12.

(3) ـ ينظر: أيسر التفاسير، لأبي بكر الجزائري، 446/4، والكشاف، للزمخشري، 91/4.

(4) ـ ينظر: تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، 63/7.

الفرع الثالث: مقاصد الآيات الكريمات

بعد دراستي لهذا المقطع وما يحتويه توصّلت إلى أنّه يحمل مقاصد كثيرة أذكر منها:

- البرهنة على أنّ الله تعالى إنّما خلق الكون لأسرار وحكم عالية.
- الدّلالة على قدرة الله ﷻ، وكذلك إثبات الحشر والمعاد.
- بيان عدل الله تعالى في عدم المساواة بين المؤمنين والكافرين، وفي هذا زيادة التّشنيع على منكري البعث والجزاء.
- في الآيات دليل على وجوب معرفة معاني القرآن ويظهر ذلك لما أمر تعالى بتدبّره.

الفرع الرابع: إسقاط الآيات على الواقع

إنّ العدل الذي يطالب به الخلفاء في الأرض والحكّام بين النّاس؛ إنّما هو طرف من الحقّ الكليّ، لا يستقيم أمر النّاس إلا حين يتناسق مع بقية الأطراف، وأنّ الانحراف عن شريعة الله والحقّ في الخلافة والعدل في الحكم؛ إنّما هو انحراف عن النّاموس الكوني الذي قامت عليه السماء والأرض وهو أمر عظيم، وشرّ كبير، واصطدام مع القوى الكونية الهائلة، فلابدّ أن يتحطم في النّهاية ويزهق[1].

فمن تأمّل في هذا الكون العظيم فسيدرك أنّ هذه المخلوقات هي دليله إلى الله تعالى، ويزداد بها قربًا منه، فقد رَسم جلّ في علاه بحرفين (كن) عجائب هذا الكون وأسراره، فإنّ العقول لتحتار كلّما تأمّلت عجائب قدرته تعالى، فتبارك الله أحسن الخالقين.

وأمّا عن معاناتنا اليوم في كلّ مجالات الحياة؛ فما هي إلّا ببعدنا عن القرآن العظيم، فيا حسرة على من هجر القرآن، مخطئون هم من تركوا القرآن وأجهدوا أنفسهم في البحث عن طريق آخر يوصلهم إلى السعادة، ويوصلهم إلى الحياة الحقيقية.

فلقد أنزل الله ﷻ القرآن ووصفه بأنّه مبارك، ثم بيّن الطريق التي تحصل به بركة هذا الكتاب، والطريق التي تنال به خيراته وهو تدبّره، وفهم معانيه وإتّباعه، وقد بيّنت هذه الآية أنّ الغرض الأساسي من إنزال القرآن؛ هو التدبّر والتذكّر، لا مجرد التّلاوة على عظم أجرها[2].

---

(1) ـ ينظر: في ظلال القرآن، للسيد قطب، 3019/5.

(2) ـ ينظر: مشروع الحياة من جديد، لأسماء الرويشد، ص 8.

ولكن بضعف الأمّة في عصورها المتأخرة تراجع الاهتمام بالقرآن، وانحسر حتى اقتصر الأمر عند غالب المسلمين على حفظه وتجويده وتلاوته فقط، فلا تدبّر ولا فهم لمعانيه ومراده، مع أنّها الغاية التي نزل من أجلها، فانشغلنا بحفظه وتركنا تدبّره.

وكلّي أمل بأن يرجع الاهتمام بفهم كتاب الله تعالى، ويكون موازيًا للاهتمام بلفظه، حتى لا نكون ممّن أقام حروفه وضيّع حدوده، فمن الواجب علينا أن نعود إلى هذا المعين والمنبع الصّافي الذي لا تنتهي عجائبه.

المطلب الرّابع: إعراض الكفّار عن القرآن [الآيات: 65-70]

أرسل الله رسوله ﷺ ليرشد النّاس إلى الحقّ، وليبّين لهم طريق الفلاح، وكذلك ليقودهم إلى توحيد الله ﷻ، وهذا ما سنراه في هذا المطلب.

قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ مُنذِرٌ ۖ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٦٥﴾ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفَّارُ ﴿٦٦﴾ قُلْ هُوَ نَبَؤٌا۟ عَظِيمٌ ﴿٦٧﴾ أَنتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ ﴿٦٨﴾ مَا كَانَ لِىَ مِنْ عِلْمٍۭ بِٱلْمَلَإِ ٱلْأَعْلَىٰٓ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴿٦٩﴾ إِن يُوحَىٰٓ إِلَىَّ إِلَّآ أَنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٧٠﴾﴾ [ص: 65-70]

الفرع الأوّل: علاقة الآيات بمحور السورة ومناسبتها لما بعدها

أوّلًا: علاقة الآيات بالمحور العام للسورة

إنّا لنعلم أنّ الرسالة كلّها جاءت لتقرير أنّ الله واحد أحد، وقد جاء القرآن بتقرير هذا المعنى عقلًا كما قرّره نقلًا، وذلك في آيات كثيرة، فدلّ على عدم فسادهما بعدم تعددهما، وجمع العقل والنّقل في قوله: ﴿مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ ۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٩١﴾﴾ [المؤمنون:91] [1].

وكذلك أمرُ الله تعالى لرسوله ﷺ أن يقول للمشركين أنّ القرآن نبأ عظيم، يدلّ على أنّ القرآن يحتوي تقريرًا للتّوحيد والنبّوة والبعث والجزاء، وعرض القصص والأحداث ووصف الجنّة والنّار وغيرها.

(1) ـ ينظر: أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، للشنقيطي، 149/9.

ولقد جاءت هذه الآيات معقّبة على الآيات السابقة، وهي والحال هذه متّصلة بالسياق، حيث جاءت على أثر بيان مصائر المتّقين والطاغين داعية منذرة، مبيّنة لمهمّة النّبي ﷺ وخطورتها العظيمة، وتحوي صورة قويّة للمقصد الربّاني في إرسال الرسل، كذلك تنديد قويّ لأولئك الذين يعرضون عمّا يدعون إليه؛ من توحيد الله سبحانه والخضوع له ونبذ كل شريك معه، أيضًا توكيد لما تكرّر في القرآن من أنّ مهمّة النّبي ﷺ هي الإنذار والدعوة وتبليغ ما يوحى إليه.

ولعلّه ممّا يندمج في هذا أنّ للنّاس عقولًا وقابليات وقوى اختيارية، لا يحتاجون معها في واقع الأمر إلّا إلى الدعوة والتّنبيه والتوضيح والتحديد، فإن لم يستجيبوا بعد ذلك فلا يبقى على الله للنّاس حجة بعد الرسل الذين أنيط بهم ذلك، على اعتبار أنّ العقل مهما بلغ يظلّ عاجزًا عن الوصول إلى معرفة كلّ واجب، وتبين كلّ حدّ من واجبات الله وحدوده، ويظلّ هناك بعض الغوامض فيما يجب وما لا يجب، وما يجوز وما لا يجوز.

والآيات بعد تنطوي على صورة رائعة نافذة لخلوص النّبي ﷺ واستغراقه في الله ووحيه وعمق إيمانه وشعوره بصدق رسالته، ونزول وحي الله عليه وإعلان ما أمره الله بإعلانه من ذلك[1].

فهذا الدّرس الأخير الذي في السورة يعود إلى تقرير القضايا التي عُرضت في مقدمتها؛ قضية التوحيد والوحي، وقضية الجزاء في الآخرة[2].

ثانيًا: مناسبة الآيات لما بعدها

في هذه الآيات الكريمة يعود الكلام إلى ما جاء الحديث عنه في أوّل السورة من التوحيد وإثبات نبوة النّبي ﷺ والمعاد، فقد تضمّنت تقريرًا للتّوحيد ووعد ووعيد للموحّدين والمشركين بسبب الإعراض عن دعوة رسول الله ﷺ، وإثبات للبعث الذي يُفصَل فيه بين المؤمنين والكافرين بعد إنذار نبيّ الله لهم في الدنيا بعقاب من أنكر التّوحيد والنبّوة والمعاد، وهذا يدلّ على أنّ السورة من أوّلها إلى آخرها مشت على أحسن وجوه الترتيب والنّظم[3].

(1) ـ ينظر: التفسير الحديث، لدروزة محمد عزت، 139/2.

(2) ـ ينظر: في ظلال القرآن، للسيد قطب، 3025/5.

(3) ـ ينظر: التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، وهبة الزحيلي، 225/23.

وبعد هذه الآيات الكريمة ذكر تعالى قصّة خلق آدم عليه السلام، وكانت مناسبة ذكر هذه القصّة في هذا المقام أخذ العبرة منها والنّهي عن الحسد والكبر؛ لأنّ إبليس إنّما وقع فيما وقع فيه بسببهما، والكفّار إنّما نازعوا النبيّ ﷺ بسببهما، وكرّر الله ذكرها ليكون زاجرًا لهم عنهما، وكان تكرير المواعظ والنصائح للمبالغة في النّصح والإرشاد[1].

الفرع الثاني: المعنى الإجمالي للآيات

بعد ما جاء في السورة كلّ ذلك العرض للقصص ووصف لما في الجنّة والنّار، وما تقرر به من التوحيد والنبوة والبعث والجزاء، أمر تعالى رسوله ﷺ أن يقول لمشركي قريش أنّني مخوفكم من عذاب الله، كما أخبركم مقررًا أنّه ليس هناك من إله قط إلّا الله الواحد في ذاته وصفاته وربوبيته وعبادته، المالك والمتصرف فيما خلق دون شريك له في ذلك[2].

وقل يا محمّد لقومك أنّ هذا القرآن الذي أعرضتم عنه هو نبأ عظيم، قد كفرتم وانصرفتم عن الإيمان به والعمل بما فيه، وقل للمشركين الذين ينكرون ما جئتهم به ويكذبونك ما كان لي من علم بالملائكة إذ اختصموا في آدم حين شاورهم الله تعالى في خلقه فاختصموا فيه، وإنّما علمت هذا الأمر بوحي من الله تعالى[3].

الفرع الثالث: مقاصد الآيات الكريمات

بعد دراستي لهذا المقطع توصلت إلى أنّه يدعو إلى حفظ الدين، وسأذكر المقاصد التي ضمّنتها هاته الآيات:

- إثبات التّوحيد والدعوة إليه.
- وجود حجّة بيّنة دالّة على أنّ معرفة المخاصمة من قبل النبيّ ﷺ كانت عن طريق الوحي من عند الله تعالى، وأنّ سائر أنبائه أيضا كذلك، وهذا إنّما يدلّ على أنّ الأنبياء لا يعلمون الغيب أصلاً، إلّا ما يوحى إليهم من جهته سبحانه وتعالى.
- وصف القرآن بالعظيم، فنفهم منه وجهان: أوّلهما لعظم قدره وكثرة منفعته، والثاني لعظيم ما تضمّنه من الأوامر والزّواجر.

---

(1) ـ ينظر: تفسير حدائق الروح والريحان، محمد الأمين العلوي، 427/24.

(2) ـ ينظر: أيسر التفاسير، لأبي بكر الجزائري، 460/4.

(3) ـ ينظر: الهداية إلى بلوغ النهاية، مكي بن طالب القيسي، 6282/10.

- بيان أنّ الوحي من عند الله يحمل على الإخلاص في الطاعة لله تعالى.
- جاء وصف الغفّار لاستدعاء المشركين إلى التّوحيد بعد تهديدهم، لكيلا ييأسوا من قبول التوبة بسبب كثرة ما سيق إليهم من الوعيد، جريًا على عادة القرآن في تعقيب الترهيب بالترغيب والعكس[1].

الفرع الرابع: إسقاط الآيات على الواقع

جاءت هذه الآيات ترشدنا إلى أنّ القرآن أمر أعظم بكثير من ظاهره، إنّه أمر من أمر الله في هذا الوجود كلّه، وشأن من شؤون هذا الكون بكامله، إنّه قدر من قدر الله في نظام هذا الوجود، ليس منفصلًا ولا بعيدًا عن شأن السماوات والأرض، وشأن الماضي السّحيق والمستقبل البعيد.

ولقد حوّل خطّ سير البشرية إلى الطريق الذي خطّته يد القدر بهذا النّبأ العظيم، سواء في ذلك من آمن به ومن صدّ عنه، ومن جاهد معه ومن قاومه في جيله وفي الأجيال التي تلته، ولم يمر بالبشرية في تاريخها كلّه حادث أو نبأ ترك فيها من الآثار ما تركه هذا النّبأ العظيم[2].

والمسلمون اليوم يقفون من هذا النّبأ كما وقف منه العرب أوّل الأمر؛ فلا يدركون طبيعته وارتباطها بطبيعة الوجود، ولا يتدبّرون الحقّ الكامن فيه؛ ليعلموا أنّه طرف من الحقّ الكامن في بناء الوجود، ولا يستعرضون آثاره في تاريخ البشرية وفي خطّ سيرها الطويل استعراضًا واقعيًّا، يعتمدون فيه على نظرة مستقلة غير مستمدة من أعداء هذا النّبأ الذين يهمّهم دائمًا أن يصغّروا من شأنه في تكييف حياة البشر وفي تحديد خطّ التاريخ.

ومن ثم فإنّ المسلمين لا يدركون حقيقة دورهم سواء في الماضي أو الحاضر أو المستقبل، وأنّه دور ماضٍ في هذه الأرض إلى آخر الزّمان[3].

(1) ـ ينظر: التحرير والتنوير، طاهر بن عاشور، 295/23.

(2) ـ ينظر: المرجع نفسه، 3026/5.

(3) ـ ينظر: المرجع نفسه، 3026/5.

المطلـب الخامس: مخاصمة الأقوام لأنبيائهم (داوود، سليمان، أيّوب، إبراهيم، آدم)

في هذا المطلب سأورد بعضًا من قصص الأنبياء الرّائعة، التي تنطوي تحتها عظات وعبر، تدور كلّها حول مقصود شامل يجمع بينها، ألا وهو تقوية قلب النّبي ﷺ والاقتداء بصفاتهم الحسنة.

الفرع الأوّل: علاقة الآيات بمحور السورة ومناسبتها لما بعدها

أوّلًا: علاقة الآيات بالمحور العام للسورة

جاءت هذه القصص لبيان وتقرير القضايا التي عرضت في مقدّمة السورة: قضية التوحيد، والوحي، وقضية الجزاء في الآخرة، ويستعرض الله قصّة آدم دليلًا على الوحي بما دار في الملأ الأعلى ذات يوم، وما تقرّر يوم ذاك من الحساب على الهدى والضّلال في يوم الحساب، كما تتضمّن القصّة لونًا من الحسد في نفس الشّيطان هو الذي أراده، فطرده من رحمته حينما استكثر على آدم فضل الله الذي أعطاه.

كذلك تصوّر المعركة المستمرة بين الشيطان وأبناء آدمعليه السلام، والتي لا تهدأ ولا تضع أوزارها، والتي يهدف من ورائها إلى إيقاع أكبر عدد منهم في حبائله، لإيرادهم النّار معه، انتقامًا من أبيهم آدم، وقد كان طرده بسبب ذلك، وهي معركة معروفة الأهداف، ولكن أبناء آدم يستسلمون لعدوّهم القديم، وتُختم السورة بتوكيد قضيّة الوحي وعظمة ما وراءه، ممّا يغفل عنه المكذّبون الغافلون[1].

كذلك تحتوي على بيان أصول الدّين المشتركة بين جميع الأنبياء؛ من الإيمان بالله ﷻ وتوحيده وعلمه وحكمته وعدله ورحمته والإيمان بالبعث والجزاء.

ثانيًا: مناسبة الآيات لما بعدها

كلّ آية في القرآن الكريم جاءت مع تناسب لما قبلها وبعدها، ففي هذا الفرع سأبيّن المناسبة لما بعد الآيات التي جاءت في قصص الأنبياء.

(1) ـ ينظر: في ظلال القرآن، للسيد قطب، 3025/5.

- **قصّة سيّدنا داوود عليه السلام:**

"لما ذكر سبحانه وتعالى إنكار المشركين للقرآن والرسالة والحشر، وأتبعه بذكر قصّة داوود عليه السلام تسلية منه لقلب النبيّ ﷺ، وأعقب هذا كلّه بذكر بعض البراهين على البعث والنشور"[1].

- **قصّة سيّدنا سليمان عليه السلام:**

لما ذكر سبحانه ما أعطى لنبيّه عليه السلام من نعم الدنيا التي يحار العقل في إدراكها، وأبان ماله في الآخرة من مقام كريم وجنات نعيم، وأنّ له القربى في الآخرة مع ما له من الملك العظيم في الدنيا، أعقب ذلك بذكر قصّة سيّدنا أيّوب عليه السلام ، وكان عدم تصدير قصّة سيّدنا سليمان عليه السلام بقول﴿ وَٱذۡكُرۡ عَبۡدَنَا﴾ بخلاف قصّتي داوود وأيّوب عليهم السلام؛ لأنّها معطوفة على قصّة داوود عليه السلام ولكمال الاتصال بينه وبين داوود عليه السلام، حتى كأنّ قصتهما قصّة واحدة[2].

فقد كان داوود وسليمان عليهما السّلام ممّن أفاض الله عليهما أصناف النّعم، فكانت قصّتهما لتعليم الشكر على النعمة، وذكرت بعدها قصّة سيّدنا أيوب عليه السلام وهو ممّن خصّه الله تعالى بأنواع البلاء، فكانت قصّته لتعليم النّاس الصّبر على الشدائد[3].

- **قصّة سيّدنا أيوّب عليه السلام:**

جاءت لتبرهن على إخلاص نبيّ الله أيّوب عليه السلام لربّه جلّ وعلا، ويتجسّد ذلك في صبره على البلاء والرضا بقضاء الله وقدره، ثمّ استُؤنِف الكلام بعدها عن قصّة سيّدنا إبراهيم عليه السلام و هي كباقي القصص مرادها أخذ العظة والعبرة.

- **قصّة سيّدنا إبراهيم عليه السلام:**

"بعد أن وصف الله تعالى ثواب المتّقين ومآل السّعداء، وصف بعده عقاب الطّاغين وحال الأشقياء المحرومين، ليتمّ التّقابل والمقارنة بين الفريقين، ويقترن الوعد بالوعيد، فيقبل على الطاعة، ويجتنب المعصية، ويتحقّق الهدف المنشود وهو الإصلاح والتّهذيب"[4].

---

(1) ـ التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم، مصطفى مسلم، 450/7.

(2) ـ ينظر: تفسير حدائق الروح والريحان، محمد الأمين العلوي، 394/24.

(3) ـ ينظر: التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، وهبة الزحيلي، 206/23.

(4) ـ المرجع نفسه، 220/23.

– قصّة خلق سيّدنا آدم عليه السلام:

ختمت بعدها هذه السورة الكريمة ببيان حال الرسول ﷺ وكيف أنّه يدعو النّاس بلا أجر ولا مال مقابل دعوته، كذلك يظهر فيها كيفية الدعوة وهي ألّا يكون فيها تقوّل وإنّما هي وحي من عند الله ﷻ، ودين يشهد بصحّته العقل، وتتّحدد فيها مهمّة القرآن بأنّه عظة للعالمين، وستظهر معجزته وأقواله يوم القيامة[1].

الفرع الثاني: المعنى الإجمالي للآيات

لقد أعطى سبحانه وتعالى في هذا القرآن العظيم نماذج من قصص الأنبياء عليهم السلام، التي تحمل كلّ قصّة منها مواعظ وعبر ومقاصد مختلفة، هذا ما سأعرضه في هذا الفرع.

أوّلًا: قصّة داوود عليه السلام

قال تعالى: ﴿ ٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱذۡكُرۡ عَبۡدَنَا دَاوُۥدَ ذَا ٱلۡأَيۡدِۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٞ ١٧ إِنَّا سَخَّرۡنَا ٱلۡجِبَالَ مَعَهُۥ يُسَبِّحۡنَ بِٱلۡعَشِيِّ وَٱلۡإِشۡرَاقِ ١٨ وَٱلطَّيۡرَ مَحۡشُورَةٗۖ كُلّٞ لَّهُۥٓ أَوَّابٞ ١٩ وَشَدَدۡنَا مُلۡكَهُۥ وَءَاتَيۡنَٰهُ ٱلۡحِكۡمَةَ وَفَصۡلَ ٱلۡخِطَابِ ٢٠ وَهَلۡ أَتَىٰكَ نَبَؤُاْ ٱلۡخَصۡمِ إِذۡ تَسَوَّرُواْ ٱلۡمِحۡرَابَ ٢١ إِذۡ دَخَلُواْ عَلَىٰ دَاوُۥدَ فَفَزِعَ مِنۡهُمۡۖ قَالُواْ لَا تَخَفۡۖ خَصۡمَانِ بَغَىٰ بَعۡضُنَا عَلَىٰ بَعۡضٖ فَٱحۡكُم بَيۡنَنَا بِٱلۡحَقِّ وَلَا تُشۡطِطۡ وَٱهۡدِنَآ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلصِّرَٰطِ ٢٢ إِنَّ هَٰذَآ أَخِي لَهُۥ تِسۡعٞ وَتِسۡعُونَ نَعۡجَةٗ وَلِيَ نَعۡجَةٞ وَٰحِدَةٞ فَقَالَ أَكۡفِلۡنِيهَا وَعَزَّنِي فِي ٱلۡخِطَابِ ٢٣ قَالَ لَقَدۡ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعۡجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِۦۖ وَإِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلۡخُلَطَآءِ لَيَبۡغِي بَعۡضُهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٍ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَقَلِيلٞ مَّا هُمۡۗ وَظَنَّ دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ فَٱسۡتَغۡفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّ رَاكِعٗا وَأَنَابَ۩ ٢٤ فَغَفَرۡنَا لَهُۥ ذَٰلِكَۖ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلۡفَىٰ وَحُسۡنَ مَـَٔابٖ ٢٥ يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلۡنَٰكَ خَلِيفَةٗ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱحۡكُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ بِٱلۡحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلۡهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدُۢ بِمَا نَسُواْ يَوۡمَ ٱلۡحِسَابِ ٢٦﴾ [ص: 17-26]

– معنى الآيات الكريمات:

لما كانت مقالة المشركين تقتضي الاستخفاف من كلّ النّواحي، أمر تعالى نبيّه ﷺ بالصّبر على أذاهم، وذكر قصصاً لبعض الأنبياء؛ داود وسليمان وأيّوب وغيرهم، وسرد ما تعرّضوا له من الأذية من قبل أقواهم، فصبروا حتى فرّج الله عنهم، وصارت عاقبتهم أحسن عاقبة.

(1) ـ ينظر: التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، وهبة الزحيلي، 235/23.

لذلك قال تعالى اصبر أيّها النبيّ، وسيؤول أمرك إلى أحسن مآل، وستبلّغ ما تريد من إقامة دينك وإماتة الضّلال[1].

فالله تعالى يريد في هذه الآيات تثبيت قلب النبيّ ﷺ على الأقاويل التي كان مرادهم منها الاستخفاف، وبدأ سبحانه بعرض قصّة داوود عليه السلام ذا الأيد في الدّين والشّرع، فكان مراد الله عز وجل من النبيّ التّأسي والتأيّد بالقوّة التي عند داوود عليه السلام، وهي قوّة البدن وقوّة الطاعة، وفي رجوعه الدّائم إلى طاعة الله تعالى[2].

ثم أخبر تعالى عمّا وهب لداوود عليه السلام من الكرامة؛ في أن سخّر الجبال تسبّح معه، ويقصد بالتسبيح هنا حقيقة التسبيح[3].

فإن تبادر لنا تساؤل: ما الدّليل على أنّ الأيد القوّة في الدِّين؟ فالجواب قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾ لأنّه تعليل لذي الأيد[4].

وبدأ تعالى بتفصيل الملك الذي رزق به داوود عليه السلام؛ من طاعة الطير له، وتقوية حرّاسه، وإتيان الحكمة والقضاء بالبيّنات والإيمان [5].

وبعد ذلك بدأ بعرض قصّة عجيبة ومشوّقة تنبّه السامع إلى الأنباء البديعة التي حقّها أن تشيع بين كلّ النّاس، وهي قصّة الخصمان [6].

---

(1) ـ ينظر: البحر المحيط، لأبي حيان، 330/9.

(2) ـ ينظر: المحرر الوجيز، لابن عطية، 566/4.

(3) ـ ينظر: المرجع نفسه، 566/4.

(4) ـ ينظر: الكشاف، للزمخشري، 5/6، ومن أراد التوسعة في المسألة ينظر: اللباب في علوم الكتاب، لابن عادل الحنبلي، 347/13.

(5) ـ ينظر: بحر العلوم، للسمرقندي، 10/4.

(6) ـ ينظر: إرشاد العقل السليم، لأبي السعود، 470/5.

وهذه القصّة هي دخول جماعة من سور غرفة داوود عليه السلام وهو مشتغل بعبادة ربّه في غير وقت جلوسه للحكم، وحين رآهم فزع منهم ظنًّا منه أنّهم جاءوا لاغتياله، إذ كان منفردًا في محرابه للعبادة، فأخبروه بقصّتهم راجين منه الحكم بينهم بالعدل، وأن لا يشطط[1] في الحكومة، ثم ذكر سبحانه حكم داوود عليه السلام في هذه القضية.

ثم استطرد إلى بيان أنّ الظلم من شيمة الإنسان عند التعامل، وأتبع كلامه بأنّ داوود عليه السلام كان قد ظنّ أنّهما قد جاءا للاغتيال، ثم تبيّن له غير ذلك[2]، فاستغفر ربّه من ذلك الظنّ، وخرّ ساجدًا ورجع إلى ربّه عز وجل طالبًا منه المغفرة لما فرط منه.

وبعد أن قصّ سبحانه علينا قصص داوود عليه السلام والخصمين، أردف ذلك ببيان أنّه فوّض إليه عليه السلام خلافة الأرض وأوصاه بالحكم بين النّاس بالحقّ، وعدم إتباع الهوى حتى لا يضلّ عن سبيل الله، ثم ذكر أنّ من ضلّ عن سبيله فله شديد العذاب وسوء المنقلب، إذ قد نسى يوم الحساب والجزاء[3].

ولقد عقّب الإمام بن كثير(774 هـ)[4] رحمه الله عن هذه القصّة قائلًا:"قد ذكر المفسّرون هاهنا قصّة أكثرها مأخوذ من الإسرائيليات، ولم يثبت فيها عن المعصوم حديث يجب إتباعه، ولكن روى ابن أبي حاتم حديثًا لا يصحّ سنده لأنّه من رواية يزيد الرقّاشي عن أنس رضي الله عنه، ويزيد وإن كان من الصّالحين لكنّه ضعيف الحديث عند الأئمّة، فالأولى أن يُقتصر على مجرّد تلاوة هذه القصّة، وأن يردّ علمها إلى الله تعالى، فإنّ القرآن حقّ وما تضمّن فهو حقّ أيضًا"[5].

---

(1) ـ الشّطط: هو الطول واعتدال القامة، والشّطاط البعد، شطت داره بعدت، والشَّطَطُ الإفراط في البعد، وأَشَطَّ، يقال في المكان، وفي الحكم، وفي السّوم. ينظر: لسان العرب، لابن منظور، 333/7، مفردات غريب القرآن، للراغب، ص453.

(2) ـ ينظر: تفسير المراغي، لمصطفى المراغي، 108/23.

(3) ـ ينظر: المرجع نفسه، 108/23.

(4) ـ الإمام بن كثير: هو الإمام الجليل الحافظ عماد الدين، أبو الفداء، إسماعيل بن عمرو بن كثير بن زرع البصري ثم الدمشقي، الفقيه الشافعي، من شيوخه: ابن الشحنة، الآمدي، من تلاميذه: أخذ عنه الكثير، من مؤلفاته: تفسير القرآن العظيم، البداية والنهاية، توفي سنة774هـ. ينظر: التفسير والمفسرون، للذهبي، 173/1.

(5) ـ تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، 51/7.

ثانيًا: قصّة سليمان عليه السلام

قال تعالى: ﴿ وَوَهَبْنَا لِدَاوُۥدَ سُلَيْمَٰنَ نِعْمَ ٱلْعَبْدُ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ۝٣٠ إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِٱلْعَشِىِّ ٱلصَّٰفِنَٰتُ ٱلْجِيَادُ ۝٣١ فَقَالَ إِنِّىٓ أَحْبَبْتُ حُبَّ ٱلْخَيْرِ عَن ذِكْرِ رَبِّى حَتَّىٰ تَوَارَتْ بِٱلْحِجَابِ ۝٣٢ رُدُّوهَا عَلَىَّ ۖ فَطَفِقَ مَسْحًۢا بِٱلسُّوقِ وَٱلْأَعْنَاقِ ۝٣٣ وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَٰنَ وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِۦ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ ۝٣٤ قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَهَبْ لِى مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِى لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ۝٣٥ فَسَخَّرْنَا لَهُ ٱلرِّيحَ تَجْرِى بِأَمْرِهِۦ رُخَآءً حَيْثُ أَصَابَ ۝٣٦ وَٱلشَّيَٰطِينَ كُلَّ بَنَّآءٍ وَغَوَّاصٍ ۝٣٧ وَءَاخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِى ٱلْأَصْفَادِ ۝٣٨ هَٰذَا عَطَآؤُنَا فَٱمْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ۝٣٩ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ ۝٤٠ ﴾[ص: 31-40]

– معنى الآيات الكريمات:

ما زال السّياق في ذكر أفضال الله على سيّدنا داوود عليه السلام، حيث وهب له ابنًا ولدًا ويقصد به سيّدنا سليمان عليه السلام.

وقوله: ﴿ إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِٱلْعَشِىِّ ٱلصَّٰفِنَٰتُ ٱلْجِيَادُ ۝٣١ ﴾؛ يقول تعالى إنّه توّاب إلى الله من خطيئته التي أخطأها، وهذه الخطيئة كانت لهوه عن الصلاة حتى فاتته من أجل خيرات الدنيا، حتى غابت الشمس[1].

فندم لذلك سيّدنا سليمان عليه السلام لأنّه فضّل حبّ الخير أي الخيل عن ذكر ربّي وصلّى صلاته، ثم عاد إلى إكمال الاستعراض فردها رجاله عليه، فجعل يمسح بيده سوقها وأعناقها حتى أكمل استعراضها.

فهذا يدل على الأوبة التي وُصف بها سيّدنا سليمان عليه السلام.

ثمّ أخبر تعالى أنّه ابتلاه كما ابتلى أباه داوود عليه السلام، وتاب سليمان عليه السلام كما تاب داوود عليه السلام ولم يسقط ذلك من علوّ منزلتهما وشرف مقامهما.

وذلك أنّه كما أخبر رسول الله ﷺ في الصّحيح؛ أنّه قال لأطأن اللّيلة مائة جارية تلد كلّ جارية ولداً يصبح فارساً يقاتل في سبيل الله، ولم يقل إن شاء الله أي لم يستثن، ووطئ نساءه في تلك الليلة فعوقب لعدم استثنائه، فلم يلدن إلا واحدة جاءت بولد مشلول بالشلل

(1) ـ ينظر: جامع البيان، للطبري، 191/21.

النصفي، فلمّا وضعته أمّه أتوا به إلى سليمان عليه السلام ووضعوه على كرسيه[1]، وهو معنى قوله تعالى: ﴿وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِۦ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ﴾ فرجع سليمان عليه السلام إلى ربّه فاستغفر وتاب فتاب الله عليه.

وسخّر له الريح تجري بأمره حيث يريدها[2]، كما سخّر له شياطين الجنّ تعمل كلّها تحت إمرته.

وأخيرًا بيّن الله تعالى أنّه أعطى لسيّدنا سليمان عليه السلام ما طلب منه، وقال له هذا عطاؤنا لك، فأعطي ما شئت لمن شئت وامنع ما شئت عمّن شئت بغير حساب منّا عليك، وفوق هذا إنّ لك عندنا يوم القيامة للقربى وحسن المرجع، وهو قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ﴾[3].

ثالثًا: قصّة أيّوب عليه السلام

– معنى الآيات الكريمات:

قال تعالى: ﴿وَٱذْكُرْ عَبْدَنَآ أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلشَّيْطَٰنُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ ﴿٤١﴾ ٱرْكُضْ بِرِجْلِكَ هَٰذَا مُغْتَسَلٌۢ بَارِدٌ وَشَرَابٌ ﴿٤٢﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنَّا وَذِكْرَىٰ لِأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٤٣﴾ وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَٱضْرِب بِّهِۦ وَلَا تَحْنَثْ ۗ إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًا ۚ نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾[ص: 41-44]

ومعناه اذكر في هذا الكتاب عبدنا أيوب أحسن الذكر، وأثن عليه بأحسن الثّناء، حين أصابه الضّر، فصبر على ضرّه، فلم يشتكِ لغير ربّه ولا لجأ إلّا إليه.

فنادى ربّه داعيًا وإليه شاكيًا، وكان قد سُلّط على جسده فنفخ فيه حتى تقرّح، ثم تقيّح بعد ذلك واشتدّ به الأمر، وكذلك هلك أهله وماله[4].

فأمره الله عزّ وجلّ بضرب رجله الأرض لينبع له منها عين يغتسل منها ويشرب، ويذهب عنه بذلك الضرّ والأذى، وعندما فعل ذلك ذهب عنه الضرّ وشفاه الله تعالى[5].

---

(1) ـ أخرجه: البخاري في صحيحه، ر ح: 7469، ومسلم في صحيحه، رح: 1654.

(2) ـ ينظر: جامع البيان، للطبري، 448/4.

(3) ـ ينظر: أيسر التفاسير، لأبي بكر الجزائري، 451/4.

(4) ـ ينظر: تيسير الكريم الرحمان، للسعدي، ص 714.

(5) ـ ينظر: المرجع نفسه، ص 714.

فإذا أردنا أن نجمع بين قولي سيّدنا أيّوب عليه السلام المذكور في سورة الأنبياء بقوله تعالى: ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ [الأنبياء: 83]، وفي هذه السورة: ﴿إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلشَّيْطَٰنُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ﴾؛ فهذا يدلّ على أنّه ضجر من المرض فشكا منه، مع أنّ قوله تعالى عنه: ﴿إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًا ۚ نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾؛ يدلّ على كمال صبره.

فالجواب هو أنّ ما صدر من أيّوب عليه السلام كان دعاء وإظهار فقر وحاجة إلى ربّه، لا شكوى وجزع[1]، ومن رحمته تعالى بنبيّه وهب له أهله، هذا ليتذكّر بحاله أولو الألباب فيصبروا على الشّدائد كما صبر.

وقد أورد المفسّرون في هذه الآية أنّ سيّدنا أيّوب عليه السلام حلف في مرضه ليضربنّ زوجه مائة سوط، لأنّها باعت ذؤابتيها[2] فأمره الله أن يأخذ ضغثًا[3] فيضربها به ليخرج من يمينه، والمعنى أنّه يأخذ حزمة فيها مائة عود فيضربها بها ضربة واحدة فيخرج بذلك من يمينه[4].

فهنا تتجلّى حكمته تعالى في إكرام سيّدنا أيّوب عليه السلام، وإبقاء معه زوجته التي أحسنت إليه وأعانته في بلائه ومحنته، فجزاها الله بحسن صبرها أن أفتاه في ضربها تسهيلاً عليه وعليها.

ثم شهد الله تعالى لأيّوب عليه السلام شهادة تبقى على مرّ الأزمان، مظهرًا أنّه كان في بلائه صابراً، لا تحمله الشّدة على الخروج عن طاعة ربّه والدخول في معصيته، فكان من خيرة خلق الله وعُبّاده، مقبلاً على طاعته، رجّاعاً إلى رضاه، فلم يكن دعاؤه عن تذمّر وشكوى، وإنّما كان لجوءاً إلى الله العليّ القدير الذي بيده مقاليد السّموات والأرض[5].

---

(1) ـ ينظر: أضواء البيان، للشنقيطي، 238/4.

(2) ـ الذؤابتان: مثنى ذؤابة، وهي الشعر المضفور من شعر الرأس؛ وذؤابة الجبل أعلاه، ينظر: لسان العرب، لابن منظور، 379/1.

(3) ـ الضّغث: الضغوث من الإبل التي يشك في سنامها، والجمع ضغث، وضغث السنام عركه، قبضة ريحان، أو حشيش أو قضبان، ينظر: لسان العرب، لابن منظور، 163/2، المفردات، للراغب، ص 905.

(4) ـ ينظر: أضواء البيان، للشنقيطي، 240/4. وللتوسّع في معرفة هذا الحكم: ينظر: هذا المرجع، 255/3.

(5) ـ ينظر: روائع البيان، لمحمد علي الصابوني، 426/2.

رابعًا: قصّة إبراهيم عليه السلام وذريّته

قال تعالى: ﴿ وَٱذۡكُرۡ عِبَٰدَنَآ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ أُوْلِي ٱلۡأَيۡدِي وَٱلۡأَبۡصَٰرِ ۝٤٥ إِنَّآ أَخۡلَصۡنَٰهُم بِخَالِصَةٖ ذِكۡرَى ٱلدَّارِ ۝٤٦ وَإِنَّهُمۡ عِندَنَا لَمِنَ ٱلۡمُصۡطَفَيۡنَ ٱلۡأَخۡيَارِ ۝٤٧ وَٱذۡكُرۡ إِسۡمَٰعِيلَ وَٱلۡيَسَعَ وَذَا ٱلۡكِفۡلِۖ وَكُلّٞ مِّنَ ٱلۡأَخۡيَارِ ۝٤٨ هَٰذَا ذِكۡرٞۚ وَإِنَّ لِلۡمُتَّقِينَ لَحُسۡنَ مَـَٔابٖ ۝٤٩ جَنَّٰتِ عَدۡنٖ مُّفَتَّحَةٗ لَّهُمُ ٱلۡأَبۡوَٰبُ ۝٥٠ مُتَّكِـِٔينَ فِيهَا يَدۡعُونَ فِيهَا بِفَٰكِهَةٖ كَثِيرَةٖ وَشَرَابٖ ۝٥١ وَعِندَهُمۡ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرۡفِ أَتۡرَابٌ ۝٥٢ هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِيَوۡمِ ٱلۡحِسَابِ ۝٥٣ إِنَّ هَٰذَا لَرِزۡقُنَا مَا لَهُۥ مِن نَّفَادٍ ۝٥٤ ﴾ [ص: 45-54]

– معنى الآيات الكريمات:

يخبر الله تعالى في هذه الآيات عن فضائل عباده الأنبياء والمرسلين، المحسنين له في الدّين والمتقدّمين على جميع عباده في كلّ عمل إليه تعالى.

وقد أحال الإمام بن عاشور(1393هـ) رحمه الله معنى الأبصار إلى المعنى المجازي، وقال هو جمع بصر، والمقصود به النّظر الفكريّ المعروف بالبصيرة، أي التبصّر في مراعاة أحكام الله تعالى وتوخّي مرضاته.

وبيّن تعالى أنّه جعلهم خالصين أي طهّرهم من درن النّفوس فصارت نفوسهم نقيّة من العيوب العارضة للبشر، وهذا الإخلاص هو معنى العصمة اللازمة للنبوّة [1].

وقرّر أنّهم عنده من المختارين من أبناء جنسهم، المطبوعين على فعل الخير، فلا يميلون للأذى، ولا تنطوي قلوبهم على الضّغينة والحقد والحسد والبغض لأحد، ولا يرتكبون شرًّا ومعصية، فهم أخيار مختارون.

ثم بعد ذلك ذكر بعض الأنبياء والمرسلين للإقتداء بهم في الصبر وأعمالهم الصّالحة، فكلّ منهم من الأخيار المختارين للنّبوة[2].

(1) ـ ينظر: التحرير والتنوير، لابن عاشور، 276/23.

(2) ـ ينظر: التفسير المنير، لوهبة الزحيلي، 215/23.

وأردف بعد ذلك بعض الآيات القرآنية التي تعدّد محاسنهم كتذكرة لهم وذكر جميل في الدّنيا، وشرف يذكرون به أبدًا، وإنّ لهم وللمتّقين أمثالهم لحسن مرجع يرجعون فيه في الآخرة إلى مغفرة الله ورضوانه ونعيم جنّته[1].

ثمّ بدأ تعالى بوصف أهل الجنّة وكيف أنّ الملائكة يفتحون لهم أبواب الجنّة ويحيّونهم بالسّلام، وقيل: المراد من هذا الفتح وصف تلك المساكن بالسّعة وقرّة العيون فيها[2].

فيدعون فيها بألوان الفاكهة وألوان الشّراب، ولما بيّن تعالى المسكن والمأكل والمشرب، ذكر بعدهم أمر النّكاح تتميمًا للنّعمة، ثم قال ﷻ: قل للمتّقين هذا ما توعدون ليوم الحساب فإنّ الحساب علّة الوصول إلى الجزاء، وفي نهاية هذا كلّه أخبر تعالى عن دوام هذا الثّواب[3].

خامسًا: قصّة خلق سيّدنا آدم عليه السلام وإكرام الله له

قال تعالى: ﴿ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ ﴿٧١﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٧٢﴾ فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٧٣﴾ إِلَّآ إِبْلِيسَ ٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧٤﴾ قَالَ يَٰٓإِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ ۖ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْعَالِينَ ﴿٧٥﴾ قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴿٧٦﴾ قَالَ فَٱخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴿٧٧﴾ وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٧٨﴾ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٧٩﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴿٨٠﴾ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْوَقْتِ ٱلْمَعْلُومِ ﴿٨١﴾ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٨٣﴾ قَالَ فَٱلْحَقُّ وَٱلْحَقَّ أَقُولُ ﴿٨٤﴾ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٥﴾ قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ ﴿٨٦﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٧﴾ وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُۥ بَعْدَ حِينٍۭ ﴿٨٨﴾ ﴾ [ص: 71-88]

– معنى الآيات الكريمات:

ذكر الله تعالى في هذه الآيات من النّعم العامّة على جميع البشر، وهو أنّ الله تعالى خصّص آدم عليه السلام بالخلافة أوّلاً، ثمّ خصصّه بالعلم ثانياً، ثم بلوغه في العلم إلى أن صارت الملائكة عاجزة عن بلوغ درجته في العلم، ثمّ ذكر أنّه أصبح مسجوداً له من قبل الملائكة[4].

---

(1) ـ ينظر: التفسير المنير، لوهبة الزحيلي، 215/23.

(2) ـ ينظر: السراج المنير، لشمس الدين الخطيب، 423/3.

(3) ـ ينظر: السراج المنير، لشمس الدين الخطيب، 423/3.

(4) ـ ينظر: اللباب في علوم الكتاب، لابن عادل الحنبلي، 528/1.

أمر سبحانه نبيّه محمّدﷺ أن يذكر قصّة خلق آدم عليه السلام أبي البشر، حين خلقه من طين وتراب مخلوط بالماء، وقال للملائكة إذا أتممت خلقه وعدّلته وأكملته وجعلته حيًّا فاسجدوا له، أي سجود التّحية والتّكريم لا سجود العبادة، فسجد الملائكة كلّهم أجمعون وامتثلوا لأمر الله، وسجدوا عن آخرهم وما بقي منهم ملك إلا سجد، إلّا إبليس استكبر وامتنع مستكبرًا متعاظمًا ولم يكن من السّاجدين، فصار من الكافرين بمخالفة أمر الله، أو أنّه كان من الكافرين في علم الله[1].

وجاء حوار الله ﷻ مع إبليس بقوله تعالى: ما منعك أن تسجد لما خلقت بيديّ، امتثالًا لأمري وإعظامًا لخطابي كما فعلت الملائكة، فذكر له ما تركه من السّجود مع ذكر العلّة التي تشبث بها في تركه، فقال تعالى إنّي أمرت الملائكة بأن يسجدوا له لداعي حكمة دعاني إليه من إنعامي عليه بالتّكرمة وابتلاء للملائكة، فمن أنت حتى يصرفك عن السجود له، ما لم يصرفني عن الأمر بالسّجود له[2].

وفي هذا تحقيق الله سبحانه وتعالى للتّنشئة في اليد، دليل على أنّه ليس بمعنى النّعمة والقوّة والقدرة، إنّما هما وصفان من صفات ذاته.

فاستكبر إبليس وقال أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين، قال تعالى فاخرج منها؛ أي من الجنّة، وقيل: من السماوات، وقيل: من الخلقة التي أنت فيها.

والأخير هو تأويل صحيح، لأنّ إبليس عليه اللّعنة تجبّر وافتخر بالخلقة، فغيّر الله تعالى خلقه فاسودّ بعدما كان أبيضًا، وقبح بعدما كان حسنًا، وأظلم بعد أن كان نورانيًّا وطرده الله تعالى من الجنّة ومن رحمته إلى يوم يدان النّاس بأعمالهم[3].

فطلب إبليس من الله أن يؤخّره ولا يهلكه إلى يوم بعث الخلق من قبورهم.

فأخّره الله ﷻ إلى وقت هلاكه؛ وهو يوم يموت جميع الخلق ولم يؤخَّر إلى وقت بعث الخلق كما سأل، فأخّره الله سبحانه تهاونًا له لأنّه لا يضلّ إلّا من تقدّم في علم الله ضلاله[4].

---

(1) ـ ينظر: التفسير المنير، لوهبة الزحيلي، 231/23.

(2) ـ ينظر: الكشاف، للزمخشري، 105/4.

(3) ـ ينظر: الكشف والبيان، لأبي إسحاق النيسابوري، 217/8.

(4) ـ ينظر: الهداية إلى بلوغ النهاية، لمكي بن طالب القيسي، 6289/10.

ثمّ أقسم إبليس بعزة الله تعالى لأنّه يعلم أنّه ليس له عزّة، أن يغوي ذريّة آدم عليه السلام أجمع إلّا من أخلص الله للإيمان به.

وبعد ذلك أمر تعالى نبيّه ﷺ أن يخبر الخلق بأنّه ليس بسائل أجر ولا مال، وأنّه ليس ممّن يتكلّف ما لم يجعل إليه ولا يتحلّى بغير ما هو فيه.

ثمّ تكلّم تعالى في آخر هذه الآيات عن القرآن الكريم، بتأكيد صدق ما جاء به من أنباء في توعّدكم[1].

الفرع الثالث: مقاصد الآيات الكريمات

بعد دراستي لهذا المقطع توصّلت إلى أنّه يدور حول حفظ الدين، وسأذكر ما احتوى هذا المقطع من مقاصد:

- تسلية النّبي ﷺ ووعد له بالنّصر وتفريج الكرب وإعانة له على ما أمر به من الصّبر.
- جاء ذكر الإنعام على الأنبياء لتقوية قلب النّبي ﷺ ، وليعلم أنّ الله تعالى سيفرج عنه ما يلقى من أذية قومه، ويعقبها بالنّصر والظّهور عليهم.
- ذُكرت هذه القصص للاقتداء بأصحابها في القوّة والصبر وإقامة الدّين.
- تقريع وتوبيخ للمشركين لأنّهم أبوا الانقياد والإذعان لما جاءهم به محمدﷺ واستكبروا عن أن يكونوا تبعًا له، فأعلمهم الله عزّ وجلّ قصّة إبليس وهلاكه باستكباره وترك إذعانه لآدم.
- زجر الكفّار ومنعهم من الحسد والكبر، ويتجسّد ذلك في قصّة آدم عليه السلام، لأنّ امتناع إبليس عن السّجود كان بسبب الحسد والكبر، والكفّار إنّما نازعوا النّبي بالسبب ذاته.
- ذكر هذه القصص يتمحور حول العظة والعبرة والتّعليم لنا، والتخلّق بأخلاقهم، والعمل بأعمالهم التي من أجلها استحقوا ما أعدّ الله لهم.

الفرع الرابع: إسقاط الآيات على الواقع

لقد خلق الله هذا الكائن البشري من الطين، كما أنّ سائر الأحياء في الأرض خلقت من طين، فمن الطين كلّ عناصرها فيما عدا سرّ الحياة الذي لا يدري أحد من أين جاء ولا كيف جاء، وفيما عدا تلك النفخة العلوية التي جعلت منه إنسانًا، من الطين كل عناصر جسده،

(1) ـ ينظر: المحرر الوجيز، لابن عطية، 515/4.

فهو من أمّه الأرض ومن عناصرها تكون. وهو يستحيل إلى تلك العناصر حينما يفارقه ذلك السرّ الإلهي المجهول، وتفارقه معه آثار تلك النفخة العلوية التي حدّدت خطّ سيره في الحياة[1].

ولقد عاصر مولد الإنسان الأوّل أجناس وأنواع شتّى من الأحياء، ولم يقع في هذا التاريخ الطويل أن ارتقى نوع أو جنس عقليًّا أو روحيًّا، حتى مع التسليم بوقوع الارتقاء العضوي.

لقد نفخ الله من روحه في هذا الكائن البشري، لأنّ إرادته اقتضت أن يكون خليفة في الأرض، وأن يتسلّم مقاليد هذا الكوكب في الحدود التي قدّرها له، حدود العمارة ومقتضياتها من قوى وطاقات[2].

وأمّا عن المعركة التي بين الشيطان وأبناء آدمعليه السلام، فهي قائمة إلى اليوم يخوضونها على علم، والعاقبة مكشوفة لهم في وعد الله الصّادق الواضح المبين، وعليهم تبعة ما يختارون لأنفسهم بعد هذا البيان، وقد شاءت رحمة الله ألّا يدعهم جاهلين ولا غافلين فأرسل إليهم المنذرين، فهذا من كرم الله تعالى على خلقه.

المطلب السادس: تصوير عقاب الطّاغين [الآيات من: 55-64]

إنّ لكلّ عاصٍ ومذنب عقاب، وعقاب الطّاغين والمتجبّرين نار جهنّم التي توعّدها الله لهم، في هذا المطلب سأبيّن عقابهم الذي خصّصه الله لهم ولمن عصى أمره.

قال تعالى: ﴿هَٰذَاۚ وَإِنَّ لِلطَّٰغِينَ لَشَرَّ مَـَٔابٖ ٥٥ جَهَنَّمَ يَصۡلَوۡنَهَا فَبِئۡسَ ٱلۡمِهَادُ ٥٦ هَٰذَا فَلۡيَذُوقُوهُ حَمِيمٞ وَغَسَّاقٞ ٥٧ وَءَاخَرُ مِن شَكۡلِهِۦٓ أَزۡوَٰجٌ ٥٨ هَٰذَا فَوۡجٞ مُّقۡتَحِمٞ مَّعَكُمۡ لَا مَرۡحَبَۢا بِهِمۡۚ إِنَّهُمۡ صَالُواْ ٱلنَّارِ ٥٩ قَالُواْ بَلۡ أَنتُمۡ لَا مَرۡحَبَۢا بِكُمۡۖ أَنتُمۡ قَدَّمۡتُمُوهُ لَنَاۖ فَبِئۡسَ ٱلۡقَرَارُ ٦٠ قَالُواْ رَبَّنَا مَن قَدَّمَ لَنَا هَٰذَا فَزِدۡهُ عَذَابٗا ضِعۡفٗا فِي ٱلنَّارِ ٦١ وَقَالُواْ مَا لَنَا لَا نَرَىٰ رِجَالٗا كُنَّا نَعُدُّهُم مِّنَ ٱلۡأَشۡرَارِ ٦٢ أَتَّخَذۡنَٰهُمۡ سِخۡرِيًّا أَمۡ زَاغَتۡ عَنۡهُمُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ ٦٣ إِنَّ ذَٰلِكَ لَحَقّٞ تَخَاصُمُ أَهۡلِ ٱلنَّارِ ٦٤﴾[ص: 55-65].

(1) ـ ينظر: المحرر الوجيز، بن عطية، 3027/5.

(2) ـ ينظر: المرجع نفسه، 3027/5.

الفرع الأوّل: علاقة الآيات بمحور السورة ومناسبتها لما بعدها

أوّلًا: علاقة الآيات بالمحور العام للسورة

تحدثت الآيات على جزاء الطّغاة والمشركين بالله تعالى، وأنّ مآلهم إلى جهنّم، وسبب ذلك إنكارهم للتوحيد والبعث والجزاء، ومن هذا فإنّ خلود الكفّار في النّار عدل محض؛ لأنّها العقوبة الملائمة لذنبهم، فلا ذنب في الوجود أعظم من الكفر بالله تعالى، والكفر بالبعث والجزاء، فعظم لذلك عذابهم، وكتب عليهم الخلود الأبدي في النّار؛ لأنّ الكفر الحاصل من الجاحدين لله غير مخصوص بزمن دون زمن، بل هو ملازم لهم؛ فحتى لو أعيدوا إلى الأرض لعادوا إلى الكفر.

ثانيًا: مناسبة الآيات لما بعدها

لما ختم سبحانه وتعالى سورة ص بوصف القرآن الكريم ابتدأ السورة التي بعدها ببيان أنّ الذكر الذي ذكره في آخر سورة ص تنزيل، فجاءت نهاية السورة وبداية ما بعدها كالآية الواحدة، لما بينهما من اتّصال وتلاحم شديد.

أيضًا لما ذكر تعالى في آخر ص قصّة خلق آدم عليه السلام، أعقبه في بداية ما بعدها بذكر أحوال الخلق من المبدأ إلى المعاد، فيكون ذلك متّصلًا بخلق آدم عليه السلام المذكور في هذه سورة[1].

الفرع الثاني: المعنى الإجمالي الآيات

بدأ الله تعالى هذه الآيات باسم الإشارة "هذا"، وهو يفيد الانتقال من غرض إلى غرض، وجاء كنهاية للغرض الذي قبله[2].

واستطرد تعالى هذه الآيات بذكر مآل الطّاغين مقابلة منه لمآل المتّقين، وعلى هذا اعتدنا سير النّظم القرآني، وقد جاء الوصف فيها قويّ ورهيب، فقد قال سبحانه هذا العذاب الأليم فليذوقوه، ثمّ أنّه تعالى لما حكم بأنّ الطّاغين لهم شر مآب فسّره بقوله: ﴿جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ﴾، فهو تعالى قد شبه ما تحتهم من النّار بالمهاد الذي يفترشه النّائم.

(1) ـ ينظر: التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، وهبة الزحيلي، 238/23.

(2) ـ ينظر: التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، 285/23.

ثمّ بعد ذلك لما وصف تعالى مسكنهم ومأكلهم، بيّن أنّهم حكوا أحوالهم للذين كانوا أحباء لهم في الدنيا، ثم مع الذين كانوا أعداء لهم، وقد كانت هذه حكاية كلام رؤساء أهل النّار يقوله بعضهم لبعض بدليل أنّ ما حكي بعد هذا من أقوال الأتباع، وقيل أنّ قوله: ﴿هَٰذَا فَوۡجٞ مُّقۡتَحِمٞ مَّعَكُمۡ﴾ هو كلام الخزنة لرؤساء الكفرة في أتباعهم، وقوله: ﴿لَا مَرۡحَبَۢا بِهِمۡۚ إِنَّهُمۡ صَالُواْ ٱلنَّارِ ٥٩﴾ كلام الرؤساء[1]، فكان قوله تعالى: "إنّ هذا الذي أخبرناك يا محمد من أقوال أهل النّار وتخاصمهم، لهو الحقّ الذي لابدّ أن يتكلموا فيه، فنحن نخبرك عن تخاصمهم في جهنم وعن أقوالهم وهم فيها، وإنما سمى الله تعالى تلك الكلمات تخاصما لأن قول الرؤساء وقول الأتباع من باب الخصومة"[2]

الفرع الثالث: مقاصد الآيات الكريمات

بعد دراستي لهذا المقطع توصّلت إلى أنّه مقاصد جمّة أذكر منها:

- بيان أنّ هذا التّخاصم والتّنازع أمر واقع حتمًا في النّار، وهو حّق ثابت، يجب الإيمان به[3].
- تقرير أنّ ما أخبر به القرآن من المشاهد الأخروية واجب الإيمان به.
- تقريع الكفّار وإنذارهم وإثارة الخوف فيهم وحملهم على الارتداع.
- بيان أنّ للطّاغين شرّ المآب وبشاعة المنقلب، لهم ولكلّ من اتّبعهم واقتدى بهم.
- الكشف عن استقرار القيم الحقيقية في الآخرة بين المتّقين والكافرين.
- ذكر العذاب والعقاب من رحمة الله على عباده، وذلك لتحفيزهم على تحقيق الاستقامة.
- تحقيق الهدف الأساسي، وهو الإصلاح والتّهذيب.
- أخذ العظة والعبرة.

(1) ـ ينظر: مفاتيح الغيب، للرازي، 404/26.

(2) ـ التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم، مصطفى مسلم، 465/7.

(3) ـ ينظر: التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم، مصطفى مسلم، 224/23.

الفرع الرابع: إسقاط الآيات على الواقع

لقد كثر الطّغاة في عصرنا الحالي، وكثر فسادهم وكفرهم بالله تعالى، وبمقابل ذلك كثر دخولهم للإسلام، واعتنائهم بالقرآن الكريم وتأثّرهم به، "فكلمّا تلا الإنسان اليوم آيات العذاب الشّديد وألوان العقاب للكافرين الطغاة، اقشعر بدنه وارتعد جسمه، وخاف أن يناله شيء من ذلك، لشدّة الوصف، وقسوة العذاب، وتصويره كأنّه واقع ماثل أمامه، يراه ولا يطيق تحمله، وحدوث هذا التأثّر، والتفاعل مع الوصف، يحملهم على تفادي الأسباب، والبعد عن موجبات العذاب، والبحث عن موجبات الرّحمة والمغفرة، والنّجاة والتّخلص من آفات العقاب وويلاته في الآخرة"[1].

فمن هذا ينبغي علينا نحن المسلمين بمعرفتنا للإسلام، ومعرفتنا لمصير هؤلاء الكفّار أن نحوّل قلقنا من مصير الكفّار، إلى عمل مثمر يفيدنا ويفيد هذه الفئة الكافرة، فننشط في دعوتنا إلى الله، وبيان محاسن الإسلام لهم، و أن نحدّثهم عن حياة الآخرة، وأهوالها ونعيمها، و أن نبيّن لهم أنّ الإسلام هو الحلّ الوحيد للظّفر بالسعادة في الدارين، والأمن من العذاب، وعلينا أيضًا تبيين مثل ذلك للعصاة من المؤمنين حتى يتوبوا إلى ربّهم قبل الموت، مستخدمين في ذلك ما تيسّر من وسائل الإقناع العقلي، والتّأثير العاطفي، فنرغّبهم ونرهّبهم ونحاورهم ونجادلهم بالتي هي أحسن، وينبغي علينا الصّبر عليهم، وتقديم الدّعاء لهم ولنا بالمغفرة من الله تعالى.

(1) ـ التفسير الوسيط، لوهبة الزحيلي، 2212/3.

خُصّص هذا المبحث لدراسة المقاصد في هذه السورة، وبعد الإكمال من دراستها تبيّن لي أنّها جاءت لبيان عجز الكافرين عن معارضتهم للقرآن وللأنبياء عليهم السلام، كذلك جاءت لتذكّر الكفّار والمكذّبين بالعذاب وتثبت لهم أنّ هناك يوم للحساب، وتصوّر عقاب الطاّغين الذين طغوا على الرّسل وكذّبوا بهم.

ولعلّ بعد هذا كلّه يظهر أنّ كلّ ما جاء في هذه المقاصد يدخل تحت المقصد العام للسورة وهو ذكر المخاصمة بالباطل وبيان عاقبتها.

و بعد دراستي لهذه السورة عمومًا من حيث الوقوف على ما احتوته من؛ أسماء لها ومناسبات وأسباب نزول وفضائل ومحتويات، كذلك أهمّ المقاصد التي تضمّنتها وغير ذلك، تبيّن لي بأنّها قد اهتمّت اهتمامًا واضحًا، بإقامة الأدلّة على وحدانيّة الله تعالى وقدرته، وعلى صدق النّبي ﷺ فيما يبلّغه عن ربّه، وعلى أنّ يوم القيامة حقّ، كما اهتمّت بحكاية شبهات المشركين ثم الردّ عليها، وذكرت جانبًا من قصص بعض الأنبياء ليعتبر بقصصهم كلّ ذي عقل سليم، مع اهتمامها ببيان حسن عاقبة الأخيار وسوء عاقبة الأشرار، ليهلك من هلك عن بيّنة ويحيا من حي عن بيّنة.

الخاتمـــــــة

الخاتمـــــــة

الحمد لله ربّ العالمين الهادي إلى الصّراط المستقيم، الأوّل بغير بداية والآخر من غير نهاية، والصّلاة والسّلام على أشرف المرسلين، المبعوث رحمةً للعالمين، سيدنا محمّد ﷺ وعلى آله وصحبه أجمعين والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

قال تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ٢٩﴾[ص: 29].

وأمّا بعد:

فقد أعانني الله ﷻ على إتمام كتابة هذا البحث، ويسّر لي بفضله ومنّته وكرمه السبيل للوصول إلى خاتمته، فله ﷻ الحمد والمنة والشكر من قبل ومن بعد، فهذا الجهد المتواضع حاولت من خلاله إلقاء الضوء على **المقاصد القرآنية لسورة "ص"**، وفي الختام أذكر أهم النتائج والتوصيات، للأخذ بها.

✓ **فأمّا أهم النتائج، أذكر منها:**

1) اشتملت السورة القرآنية المدروسة كغيرها من السور المكيّة على معالجة موضوعات العقيدة؛ التوحيد والنبوّة والبعث.

2) ابتدأت السورة بالحروف المقطعة والرّاجح في معناها أنّها مما استأثر الله بعلمه، والتي هي من الأدلّة القويّة على إعجاز هذا القرآن العظيم.

3) لم يُعرف لهذه السورة أسماء توقيفية ولا اجتهادية من غير اسمها التوقيفي الذي سميت به.

4) أنّني لم أعثر على تعريف خاص بمقاصد القرآن عند القدامى، إلّا ما ورد من إشارات إليها متفرقة بين ثنايا المباحث المقاصدية بمعناها التّشريعي.

5) تعتبر المقاصد الشّرعية جزء لا يتجزأ من المقاصد القرآنية.

6) علم المقاصد الشّرعية من أجلّ العلوم وأنفعها، إذ به يتّضح عدل الشّريعة وسماحتها.

7) الاختلاف في تقسيم المقاصد القرآنية من قبل المفسّرين والأصوليين كلّ حسب اجتهاده.

8) إنّ إدراك مقاصد القرآن يُبرز لنا محاسنه، وما فيه من الدعوة إلى المصالح وترك المفاسد.

9) جاء القَسم في أوّل السورة للتّحدي بإعجاز القرآن، وبيان عجز الكافرين عن معارضته.

10) ذكرت السورة وعد الله تعالى لنبيّه بالنصر على مكذّبيه.

11) قصّت السورة العديد من قصص الأنبياء وصبرهم، تسليةً للنّبي ﷺ وللاقتداء بهم.

12) أمرت السورة بالعدل في الحكم بين النّاس، كما أشارت إلى حكم الحنث في اليمين.

13) حثّت السورة الكريمة على العناية بالقرآن الكريم خصوصًا تدبّره، كما تحثّ بالصبر على الشّدائد لأنّ نهايته الجزاء الحسن.

14) أمرت بالتخلّي عن الكثير من الصّفات الذّميمة، لأنّ عاقبتها وخيمة.

15) نهت السورة العظيمة على المماراة في الحقّ اندفاعًا وراء الهواء، كذلك التمسّك بالتقاليد الموروثة على علّاتها.

16) برهنت السورة على قدرة الله تعالى وعظمته، وإثبات الحشر والنّشر والجزاء.

17) أوضحت هذه السورة أنّ يوم القيامة حقّ ثابت يجب الإيمان به.

18) للسورة فضائل عظيمة يستفيد منها قارئها.

19) كانت السورة حجّة دامغة على أنّ الوحي من عند الله، وأنّ الأنبياء لا يعلمون الغيب.

20) تحمل هذه السورة في طيّاتها مقاصد جمّة من أهمّها؛ إقامة الأدلّة على وحدانية الله، وبيان صدق النّبي ﷺ، كما اهتمّت أيضًا بالرّد على شبهات المشركين وغيرها.

✓ **أمّا أهم التوصيات:**

بعد هذه الدراسة في كتب التفسير لهذه السورة، والوقوف على مقاصدها القرآنية، لا يسعني إلّا أن أختم هذا البحث ببعض التوصيات منها:

1. التمسّك بالقرآن الكريم والسّعي لتدبّر آياته واستنباط العلوم والمعارف المفيدة منه.
2. محاولة جعل كتاب خاص يضمّ جميع المقاصد لكلّ السور القرآنية.
3. السعي إلى إخراج بحوث مشابهة لهذه الدراسة، لتشمل القرآن كلّه، فلا تبقى دراسة لسور معينة فقط.
4. التوسّع في معرفة ودراسة علم المقاصد لأنّه علم حريّ بأن يُدرس لعظمته وتوسّعه.

وفي الختام أحمد الله الذي بنعمته تتمّ الصالحات، والصّلاة والسلام على نبيّنا محمد ﷺ وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا.

الفهارس الفنية

وتحتوي على:

فهرس الآيات القرآنية.

فهرس الأحاديث النبوية.

فهرس الآثار.

فهرس الأشعار.

فهرس الأعلام.

فهرس الكلمات الغريبة.

فهرس المصادر والمراجع.

فهرس الموضوعات العامة.

فهرس الآيات القرآنية

التسلسل	السورة	طرف الآيـــــة	رقمها	الصفحة
1	البقرة	﴿فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ﴾	[23]	20
2		﴿وَلَئِنْ أَتَيْتَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ﴾	[145]	44
3		﴿يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾	[269]	20
4	النساء	﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ﴾	[82]	19
5		﴿إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ﴾	[105]	ب
6	الأنعام	﴿وَلَوْ أَشْرَكُواْ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُواْ﴾	[88]	21
7		﴿وَأَقْسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ﴾	[109]	19
8	هود	﴿وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن ظَلَمُواْ﴾	[101]	19
9	يوسف	﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ﴾	[3]	19
10	الأنبياء	﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ﴾	[83]	62
11	المؤمنون	﴿مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ﴾	[91]	51
12	الفرقان	﴿يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا﴾	[63]	22
13	النمل	﴿وَحُشِرَ لِسُلَيْمَٰنَ جُنُودُهُۥ مِنَ﴾	[17]	22
14	القصص	﴿وَإِذَا سَمِعُواْ ٱللَّغْوَ أَعْرَضُواْ﴾	[55]	22
15	العنكبوت	﴿يُؤْتِى ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ﴾	[43]	20
16	ص	﴿صٓ وَٱلْقُرْءَانِ ذِى ٱلذِّكْرِ﴾	[01]	28
17		﴿أَجَعَلَ ٱلْءَالِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا﴾	[05]	29
18		﴿مَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِى ٱلْمِلَّةِ ٱلْءَاخِرَةِ﴾	[07]	30

19		﴿أَمْ لَهُم مُّلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا﴾	[10]	43
20		﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ﴾	[12]	45
21		﴿إِن كُلٌّ إِلَّا كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ﴾	[14]	32
22		﴿ ٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱذْكُرْ عَبْدَنَا﴾	[17]	57
23		﴿يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى﴾	[26]	57
24		﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا ﴾	[27]	48
25		﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ﴾	[29]	15
26		﴿وَوَهَبْنَا لِدَاوُۥدَ سُلَيْمَٰنَ نِعْمَ ٱلْعَبْدُ﴾	[30]	60
27		﴿ إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِٱلْعَشِىِّ ﴾	[31]	60
28		﴿وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِۦ جَسَدًا ثُمَّ﴾	[34]	60
29		﴿ وَٱلشَّيَٰطِينَ كُلَّ بَنَّآءٍ وَغَوَّاصٍ﴾	[37]	28
30		﴿وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴾	[40]	60
31		﴿إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلشَّيْطَٰنُ﴾	[41]	61
32		﴿وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَٱضْرِب بِّهِۦ وَلَا﴾	[44]	61
33		﴿وَٱذْكُرْ عِبَٰدَنَآ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ﴾	[45]	63
34		﴿إِنَّ هَٰذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُۥ مِن نَّفَادٍ ﴾	[54]	63
35		﴿هَٰذَا ۚ وَإِنَّ لِلطَّٰغِينَ لَشَرَّ ﴾	[55]	67
36		﴿جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ ﴾	[56]	68
37		﴿ هَٰذَا فَوْجٌ مُّقْتَحِمٌ مَّعَكُمْ ﴾	[59]	67
38		﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ مُنذِرٌ ۖ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ ﴾	[65]	51
39		﴿إِن يُوحَىٰٓ إِلَىَّ إِلَّآ أَنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ﴾	[70]	51

40		﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقٌۢ﴾	[71]	**64**
41		﴿قَالَ فَٱلْحَقُّ وَٱلْحَقَّ أَقُولُ﴾	[84]	**28**
42		﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ﴾	[87]	**31**
43		﴿وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُۥ بَعْدَ حِينٍ﴾	[88]	**64**
44		﴿لَوْ أَنَّ عِندَنَا ذِكْرًا مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ﴾	[168]	**31**
45	الأحزاب	﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾	[70]	ب
46	الزمر	﴿تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ﴾	[01]	**33**
47		﴿إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ﴾	[02]	**21**
48		﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي ٱلَّذِينَ﴾	[09]	**20**
49	محمد	﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ﴾	[24]	ب
50	القلم	﴿نٓ وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾	[01]	**20**
60		﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾	[04]	**19**

فهرس الأحاديث النبوية

التسلسل	طرف الحديث	الصفحة
1	{بعثت لأتمم صالح الأخلاق}	19
2	{لأطأن اللّيلة مائة جارية}	60
3	{من قرأ هذه السورة}	34
4	{من كتبها تحت قاض، أو وال}	34

فهرس الآثار

التسلسل	طرف الأثر	صاحب الأثر	الصفحة
1	{من قرأ سورة ص في ليلة الجمعة}	أبي جعفر	33
2	{كان خلقه القرآن}	عائشة بنت الصديق	19
3	{مرض أبو طالب، فأتته قريش}	ابن عبّاس	30

فهرس الأشعـــار

التسلسل	البيت	الصفحة
1	ترى قصد المران تلقى كأنّها *** تذرع خرصان بأيدي الشواطب	11
2	فأقصدها سهمي وقد كان قبلها *** لأمثالها من نسوة الحي قانصًا	11
3	قطعت وصاحبي سرح كناز ***كركن الرعن ذعلبة قصيد	11

فهرس الأعلام

التسلسل	العلـــم	الصفحة
1	أحمد الريسوني	**16**
2	بن تيمية	**21**
3	البقاعي	**17**
4	الزحيلي	**28**
5	السخاوي	**27**
6	السعدي	**22**
7	سيد قطب	**44**
8	الشاطبي	**15**
9	طاهر بن عاشور	**13**
10	علال الفاسي	**14**
11	العلوي	**42**
12	الغزالي	**13**
13	الفيروزآبادي	**12**
14	القرطبي	**42**
15	بن كثير	**59**
16	محمود شلتوت	**17**
17	بن منظور	**11**

فهرس المصطلحات والكلمات الغريبة

التسلسل	المصطلح	الصفحة
1	الذؤابتان	**62**
2	الشّطط	**59**
3	الضّغث	**62**

فهرس المصادر والمراجع

1-القرآن الكريم.

2-كتب المتون:

1. السنن الكبرى، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، النسائي، ت: حسن عبد المنعم شلبي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط: 1، 1421 هـ/ 2001 م.

2. المستدرك على الصحيحين، أبو عبد الله الحاكم النيسابوري، ت: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط: 1، 1411هـ /1990م.

3. مسند الإمام أحمد بن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن حنبل أسد الشيباني، ت: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، ط: 1، 1421 هـ /2001 م.

3-كتب التفسير:

1. الإتقان في علوم القرآن، عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي، ت: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1394هـ/ 1974 م.

2. أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الشنقيطي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع بيروت – لبنان، 1415 هـ - 1995م.

3. أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، جابر بن موسى بن عبد القادر بن جابر أبو بكر الجزائري، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، ط:5، 1424هـ/2003م.

4. البرهان في تفسير القرآن، السيد هاشم البحراني، ت: لجنة من العلماء والمحققين الأخصاء، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، ط: 2.

5. التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، ط: التونسية، دار سحنون للنشر والتوزيع، تونس، 1997م.

6. التفسير الحديث، دروزة محمد عزت، دار إحياء الكتب العربية – القاهرة، ط:3، 1383 هـ.

7. التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، د وهبة بن مصطفى الزحيلي، دار الفكر المعاصر، دمشق، ط: 2، 1418 هـ.

8. التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم، نخبة من علماء التفسير وعلوم قرآن، جامعة الشارقة، 1431هـ/2010م.

9. التفسير الوسيط للزحيلي، د وهبة بن مصطفى الزحيلي، دار الفكر، دمشق، ط: 1، 1422هـ.

10. التفسير الوسيط للقرآن الكريم، محمد سيد طنطاوي، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة – القاهرة، ط:1.

11. تيسير اللطيف المنان في خلاصة تفسير القرآن، أبو عبد الله، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله بن ناصر بن حمد آل سعدي، وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية، ط: 1، 1422هـ.

12. السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير، شمس الدين محمد بن أحمد الخطيب، مطبعة بولاق الأميرية – القاهرة1285 هـ.

13. صفوة التفاسير، محمد علي الصابوني، دار الصابوني للطباعة والنشر والتوزيع – القاهرة، ط:1، 1417 هـ - 1997 م.

14. في ظلال القرآن، سيد قطب إبراهيم حسين الشاربي، دار الشروق، بيروت، القاهرة، ط: 17، 1412هـ.

15. القواعد الحسان لتفسير القرآن، أبو عبد الله، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله بن ناصر بن حمد آل سعدي مكتبة الرشد، الرياض، ط: 1، 1420 هـ/1999 م.

16. مجمع البيان في تفسير القرآن، الفضل بن حسن الطبرسي، ت: لجنة من العلماء المحققين، لبنان، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات.

17. مفاتيح الغيب، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط:3، 1420 هـ.

18. الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله، دار الكتاب العربي – بيروت، ط:3، 1407 هـ.

19. الكشف والبيان عن تفسير القرآن، أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، أبو إسحاق دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط:1، 1422، هـ - 2002 م.

20. اللباب في علوم الكتاب، أبو حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي النعماني، دار الكتب العلمية، بيروت،ط:1، 1419 هـ -1998م.

21. نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة.

22. الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، وأحكامه، وجمل من فنون علومه، أبو محمد مكي بن أبي طالب القيسي ، مجموعة بحوث الكتاب والسنة - كلية الشريعة والدراسات الإسلامية - جامعة الشارقة، ط:1، 1429 هـ - 2008 م.

4- كتب علوم قرآن:

1. أسرار ترتيب القرآن، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، دار الفضيلة للنشر والتوزيع.

2. البيان في عد آي القرآن، عثمان بن سعيد بن عثمان بن عمر أبو عمرو الداني، ت: غانم قدوري الحمد، مركز المخطوطات والتراث، الكويت، ط: 1، 1414هـ/ 1994م.

3. جمال القراء وكمال الإقراء، علي بن محمد بن عبد الصمد الهمداني المصري الشافعي، أبو الحسن، علم الدين السخاوي، ت: د.مروان العطية و د.محسن خرابة، دار المأمون للتراث، دمشق، بيروت، ط: 1، 1418هـ/1997م.

4. جواهر القرآن، لأبي حامد الغزالي الطوسي، ت: محمد رشيد رضا القبّاني، دار إحياء العلوم بيروت، ط: 3، 1411هـ/1990م.

5. المحرر في أسباب نزول القرآن من خلال الكتب التسعة دراسة الأسباب رواية ودراية، خالد بن سليمان المزيني، دار ابن الجوزي، الدمام، المملكة العربية السعودية، ط: 1، 1427 هـ/ 2006 م.

5-كتب الفقه:

1.ثواب الأعمال، أبي جعفر القمي، ت: محمد مهدي، ط: 2، منشورات الشريف الرضي، قم، 1368هـ.

2.مجموع الفتاوى، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، ت: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية 1416هـ/1995م.

6-كتب المقاصد:

1. إلى القرآن الكريم، محمود شلتوت، دار الشروق، بيروت.

2. أهمية المقاصد القرآنية في الشريعة الإسلامية وأثرها في فهم النص واستنباط الحكم، سميح عبد الوهاب الجندي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط: 1، 1429هـ/2008م.

3. علم مقاصد السور، محمد بن عبد الله الربيعة، فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر، الرياض، ط: 1، 1423هـ/2011م.

4. علم المقاصد الشرعية، نور الدين بن مختار الخادمي، مكتبة العبيكان، ط: 1، 1421هـ/2001م.

5. علم مقاصد الشارع، عبد العزيز بن عبد الرحمان بن علي بن ربيعة، فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر، الرياض، ط: 1، 1423هـ/2002م.

6. مقاصد الشريعة الإسلامية، محمد الطاهر بن عاشور، ت: محمد الطاهر الميساوي، دار النفائس للنشر والتوزيع، الأردن، ط: 2، 1421هـ/2001م.

7. مقاصد الشريعة ومكارمها، علال الفاسي، دار الغرب الإسلامي، ط: 5، 1991م.

8. مقاصد المقاصد الغايات العلمية والعملية لمقاصد الشريعة، أحمد الريسوني، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت، ط: 1، 2013م.

9. نبذة من مقاصد الكتاب العزيز، العزّ بن عبد السلام السلمي، ت: أيمن بن عبد الرزاق الشوّر، مكتبة الغزالي، الشام، ط: 1، 1416هـ/1995م.

7-كتب أصول الفقه:

1. القاموس المبين في اصطلاحات الأصوليين، محمود حامد عثمان، ط: الجديدة، دار الزاحم للنشر والتوزيع.

8-كتب اللغة:

1. في أصول الحوار، الندوة العالمية للشباب الإسلامي، عبد الرحمان النجدي، ط: 5، 1419هـ/1998م.

2. القاموس المحيط، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى، ت: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط: 8، 1426 هـ/ 2005 م.

3. لسان العرب، محمد بن مكرم أبو الفضل ابن منظور، دار صادر، بيروت، ط: 3، 1414 هـ.

4. معجم لغة الفقهاء، محمد قلعجي، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط: 2، 1408هـ/1988م.

5. معجم مقاييس اللغة، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، ت: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، 1399هـ / 1979م.

9-كتب التراجم:

1. الأعلام، للزركلي، دار العلم للملايين، ط: 15، 2002م.

2. البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، محمد بن علي الشوكاني، دار المعرفة، بيروت.

3. تراجم المؤلفين التونسيين، محمد محفوظ، دار الغرب الإسلامي، لبنان، ط: 1، 1404هـ/1984م.

4. سير أعلام النبلاء، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي، مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، ط: 3، 1405هـ / 1985م.

5. طبقات الفقهاء الشافعية، عثمان بن عبد الرحمن، أبو عمرو، تقي الدين المعروف بابن الصلاح، ت: محيي الدين علي نجيب، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ط: 1، 1992م.

6. العقود الدرية من مناقب شيخ الإسلام أحمد بن تيمية، محمد بن أحمد بن عبد الهادي بن قدامة المقدسي.

7. علماء نجد خلال ثمانية قرون، عبد الله بن عبد الرحمان آل بسام، دار العاصمة، ط: 2، 1419هـ.

8. غاية النهاية في طبقات القراء، شمس الدين أبو الخير ابن الجزري، مكتبة ابن تيمية، ط: عني بنشره لأوّل مرة عام 1351هـ، برجستراسر.

9. وهبة الزحيلي العالم الفقيه المفسر، لبديع السيد اللّحام، دار القلم، دمشق.

10- مقالات:

1. مشروع الحياة من جديد، أسماء الرويشد.

2. نبذة عن الراحل علال الفاسي جريدة العلم، تاريخ الولوج 3 ماي 2014، مع علال الفاسي في (وصيته)من أجل مجتمع ملتزم بالإسلام وقيمه. تاريخ الولوج 14 يونيو 2014.

فهرس الموضوعات العامــة

الموضوع	الصفحة
البسملة	
الإهداء	
شكر وعرفان	
الملخص بالعربية	
الملخص بالإنجليزية	
المقدمــة	ب
المبحث الأوّل: مفهوم المقاصد القرآنية	
المطلب الأوّل: تعريف المقاصد القرآنية	10
الفرع الأوّل: لغة	10
الفرع الثاني: اصطلاحًا	12
المطلب الثاني: أهميّة المقاصد القرآنية ودورها في بيان القرآن الكريم	14
المطلب الثالث: أقسام المقاصد القرآنية	16
المطلب الرابع: مجالات المقاصد القرآنية	20
المبحث الثاني: التعريف بسورة ص	
المطلب الأوّل: تسمية السورة وترتيبها وعدد آياتها	27
الفرع الأوّل: تسمية السورة وترتيبها	27

الفرع الثاني: عدد آياتها ومكيّها	28
المطلب الثاني: موضوع السورة وسبب نزولها	29
الفرع الأوّل: موضوع السورة	29
الفرع الثاني: سبب نزولها	30
المطلب الثالث: مناسبات السورة وفضلها	31
الفرع الأوّل: مناسبات السورة	31
الفرع الثاني: فضلها	33
المطلب الرابع: مشمولات السورة وأغراضها	34
الفرع الأوّل: محتويات السورة	34
الفرع الثاني: أغراض السورة	35
المبحث الثالث: أهمّ المقاصد في السورة	
المطلب الأوّل: تقريع الكافرين وبيان عجزهم	39
الفرع الأوّل: علاقة الآيات بمحور السورة ومناسبتها لما بعدها	40
الفرع الثاني: المعنى الإجمالي للآيات	41
الفرع الثالث: مقاصد الآيات الكريمات	42
الفرع الرابع: إسقاط الآيات على الواقع	43
المطلب الثاني: تذكير المكذّبين بالعذاب وإثبات الحساب	44
الفرع الأوّل: علاقة الآيات بمحور السورة ومناسبتها لما بعدها	44

الفرع الثاني: المعنى الإجمالي للآيات	45
الفرع الثالث: مقاصد الآيات الكريمات	46
الفرع الرابع: إسقاط الآيات على الواقع	46
المطلب الثالث: بيان فضل المؤمنين على الكافرين	47
الفرع الأوّل: علاقة الآيات بمحور السورة ومناسبتها لما بعدها	47
الفرع الثاني: المعنى الإجمالي للآيات	48
الفرع الثالث: مقاصد الآيات الكريمات	49
الفرع الرابع: إسقاط الآيات على الواقع	49
المطلب الرّابع: إعراض الكفّار عن القرآن	50
الفرع الأوّل: علاقة الآيات بمحور السورة ومناسبتها لما بعدها	50
الفرع الثاني: المعنى الإجمالي للآيات	52
الفرع الثالث: مقاصد الآيات الكريمات	52
الفرع الرابع: إسقاط الآيات على الواقع	53
المطلب الخامس: مخاصمة الأقوام لأنبيائهم	54
الفرع الأوّل: علاقة الآيات بمحور السورة ومناسبتها لما بعدها	54
الفرع الثاني: المعنى الإجمالي للآيات	56
الفرع الثالث: مقاصد الآيات الكريمات	65
الفرع الرابع: إسقاط الآيات على الواقع	65

المطلب السادس: تصوير عقاب الطّاغين	66
الفرع الأوّل: علاقة الآيات بمحور السورة ومناسبتها لما بعدها	66
الفرع الثاني: المعنى الإجمالي للآيات	67
الفرع الثالث: مقاصد الآيات الكريمات	68
الفرع الرابع: إسقاط الآيات على الواقع	68
الخاتمـــة	72
فهرس الآيات القرآنية	76
فهرس الأحاديث النبوية	79
فهرس الآثار	80
فهرس الأشعار	81
فهرس الأعلام	82
فهرس المصطلحات الغريبة	83
فهرس المصادر والمراجع	84
فهرس الموضوعات العامة	90

تم بحمد الله